"مشكلة العلم الإلهى عند القديس توما الإكوينى"

دراسة تحليلية نقدية

دكتورة/ نادية عبد الغنى البرماوى

أستاذ فلسفة العصور الوسطى الأوروبية المساعد

كلية الآداب – جامعة المنوفية

٢٠١٧م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة:

قد لا أكون مبالغة إذا قلت بأن مشكلة العلم الإلهى قد شغلت كثيـرًا مـن الفلاسـفة بوجه عام، وفلاسفة العصر الوسيط – المسيحى والإسلامى– بوجه خاص، وخصصوا لها مبحثًا محددًا فى مؤلفاتهم، واختلف كل منهم عن الآخر فى معالجته لهذه المشكلة.

والقديس توما الإكويني (١٢٢٥ – ١٢٧٤م) يعد واحدًا من الـذين اهتمـوا بهـذه المشكلة وأولوها اهتمامًا كبيرًا فى دراساتهم ومؤلفاتهم.

ويرجع سبب اختيارى لدراسة هذه المشكلة دون غيرها من المشكلات الأخرى عند القديس توما الإكويني إلى كونها تعد من أهم المشكلات التى خاض فيهـا القـديس تومـا الإكويني بالبحث والدراسة؛ هذا بالإضافة إلى كونها تعد مشكلة ذات صلة وثيقة بكل مـا عرض له القديس توما الأكوينى–تقريبًا- في مؤلفاته اللاهوتية وآرائه الفلـسفية؛ إذ مـن المعروف أن مسألة العلم الإلهى- كصفة من صفات الله- تعد من أهم وأدق المسائل التـى شغل بها القديس توما الإكويني وأولاها عناية خاصة فى مؤلفاته الفلسفية، هذا بالإضـافة إلى أن تأثره بالفلسفة اليونانية – وبخاصة الأرسطية- يبدو واضحًا إلى حـد كبيـر فـى دراسته لكثير من الجوانب التى تتعلق بهذه المشكلة؛ إذ تعد فلسفته-فـى المقـام الأول – فلسفة لاهوتية تنزع منزعًا أرسطيًا إلى حد بعيد.

كما أننا إذا عمقنا النظر فى الدراسات التى تناولت فلسفة القديس تومـا الأكـوينى؛ فإننا نجد أن معظمها لم يتطرق إلى سبر أغوار هذه المشكلة وبيان حقيقتها بشكل مباشـر؛ وذلك لما تميزت به من صعوبات خاصة تمثلت فيما تعلق بها من تـداخلات وتفـصيلات بين ثنايا البعد الفلسفى والبعد الدينى فى فلسفته؛ إذ تبدو نزعته التوفيقية - التـى ميـزت فلسفته - واضحة المعالم فى معالجته لهذه المشكلة.

ولقد اعتمدت فى إعداد هذا الدراسة على المنهج التحليلى مـع اسـتخدام المـنهج المقارن والمنهج النقدى كلما دعت الضرورة إلى ذلك؛ وذلك نظرًا لمـا تتطلبـه طبيعـة البحث فى هذه الدراسة من عرض وتحليل لآراء وأفكار القديس توما الإكـويني المتعلقـة بهذه المشكلة؛ وكذا اللجوء إلى عقد المقارنات وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبـين السابقين عليه أو المعاصرين له فى تناولهم لهذه المشكلة (موضوع الدراسة).

أما فرضيات هذه الدراسة فيمكن صياغتها على النحو التالي: -

١- ما طبيعة الذات الإلهيةعند القديس توما الاكوينى؛ وما أدلته على وجود الله؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- ما صفات الله عند القديس توما الأكوينى؟

٣- هل الله يعلم عند القديس توما الأكوينى؟ واذا كان يعلم فما طبيعة هذا العلم؟ وما حدوده؟ وما نوعيته؟ وهل هو يعلم بالشرور القائمة والمتحققة فى هذا الكون؟ أم أنه لا يعلم بها؟.

٤- ما صلة العقل بالنقل عند القديس توما الأكوينى؟ وإلى أىمدى استطاع القديس توما الإكويني أن يوفق بينهما فى معالجته لمشكلة العلم الإلهى؟

٥- ما أوجه النقد التى يمكن أن توجه إلى فلسفة القديس توما الإكويني الإلهية بوجه عام؟ وإلى آرائه المتعلقة بمشكلة العلم الإلهى بوجه خاص؟

وتتألف هذه الدراسة من مقدمة، ومدخل، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

- أما المقدمة فقد تناولت فيها التعريف بهذه الدراسة وبيان أهميتها والمنهج المستخدم فيها، كما عرضت فيها للفرضيات التي تقوم عليها هذه الدراسة.
- أما المدخل فعنوانه: "حياة القديس توما الإكويني ومؤلفاته" ، وقد عرضت فيه لنبذه مختصرة عن حياة هذا القديس وأهم مؤلفاته.
- أما المبحث الأول وعنوانه: "ماهية الله ووجوده عند القديس توما الأكوينى، فقد عرضت فيه لطبيعة الذات الإلهية كما تناولها القديس توما الأكوينى، كما عرضت فيه لأدلة وجود الله، مبينة إلى أى مدى تأثر القديس الأكوينى فى عرضه لهذه الأدلة بالسابقين عليه سواء من فلاسفة اليونان أو فلاسفة المسيحية.
- أما المبحث الثاني وعنوانه: "صفات الله عند القديس توما الأكوينى"، فقد عرضت فيه لصفات الذات الإلهية بطريقى: الإيجاب والسلب على نحو ما رأى القديس توما الأكوينى، محاولة بيان مدى تأثره بالسابقين عليه فى قوله بهذه الصفات.
- أما المبحث الثالث وعنوانه: "علم الله عند القديس توما الأكوينى"، فقد تناولت فيه بالدراسة طبيعة العلم الإلهى عند القديس توما الأكوينى، مبينة مدى إثباته أو نفيه لهذه الصفة الإلهية، وما تبع ذلك من تفصيلات حاولت فيها سبر أغوار هذه المشكلة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، محاولة بيان كيفية معالجته لها – دينيًا وفلسفيًا – ومحاولة أيضًا بيان مدى تأثره بالسابقين عليه والمعاصرين له فيما عرض له من آراء وأفكار تتعلق بهذه المشكلة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

§ وأما الخاتمة فقد دونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وقد أعقبتها بقائمة اشتملت على أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذه الدراسة.

والله تعالى هو الموفق للسداد ؛؛؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدخل: "حياة القديس توما الإكويني ومؤلفاته"

أ-حياته:

فيلسوف ولاهوتى من أصل إيطالى[١]، يحتل فى تاريخ الفلسفة الوسيطية مرتبة عالية ومكانة كبيرة[٢]، ولد ما بين عامى١٢٢١م، ١٢٢٢م – على حسب أغلب الروايات[٣]فى قصر روكازيكا على مقربة من أكوينو*(إيطاليا الجنوبية)[٤]، ولقب بالمعلم الجامع للكنيسة، وكذلك المعلم الملائكى[٥]؛ وهو يعد واحدًا من أعلام الفلسفة المدرسية التابعة للنظام الإسكولائى (المدرسى)؛ الذى ظهر فى القرن الثالث عشر الميلادى[٦]من أسرة أرستقراطية ذات نفوذ سياسى كبير، وفى صباه أوفدته أسرته إلى دير الراهب بندكت*فى مونت كاسينو Mont Cassino، ومكث به تسع سنوات متتالية تعلم فيها العلوم المدرسية[٧]؛ ثم واصل دراسته بجامعة نابولى على مدار ست سنوات استطاع من خلالها الاطلاع على التراث الأرسطى والتعرف على مبادئه[٨]، ثم انضم إلى رهبنة الدومنيكان** وسخر نفسه لخدمة المعتقدات الكنسية، وخاصة الأرثوذكسية، وفى عام ١٢٥٢م انتقل إلى باريس، وعين ضمن معلمى اللاهوت فى الجامعة؛ وذلك حتى عام ١٢٥٩م، وأخذ يتنقل بين إيطاليا وباريس عدة سنوات، حتى استقر به الحال فى نابولى[٩]، وتوفى القديس توما الإكويني وهو فى طريقة إلى مجمع ليون بألمانيا عام ١٢٧٤م[١٠]، وسرعان ما اكتسب مذهبه الفلسفى احترامًا شديدًا واعتناقًا كبيرًاحتى أعلن فى عام ١٣٠٩م أنه المذهب الرسمى لرهبنة الدومنيكان،[١١]كما أعلنت قداسته فى عام ١٣٢٣ على يد البابا يوحنا[١٢].

ب - مؤلفاته:

على الرغم من قصر حياة القديس توما الإكويني إلا أن المرء يقف معجبًا، أو بالأحرى حائرًا ومتأملاً أمام قصّر تلك الحياة وغزارة إنتاجها وعظم مؤلفاتها وتنوع موضوعاتها[١٣]،حيث تعد مؤلفات القديس توما الإكويني بمثابة تركيبة خارقة للمألوف من الإيمان والعقل، من اللاهوت والفلسفة، من الوحى والبرهان، كما أنها تكاد تغطى كافة مجالات العلوم والمعارف القديمة والوسيطة؛ إذ لم يكن القديس توما الإكويني من أنصار الانفتاح على التراث الأرسطى فقط، ولكن أيضًا على التراث اليونانى بوجه عام[١٤]؛ وإن كان اهتمامه الأكبر بالفلسفة الأرسطيةالتى سادت بين ربوع فلسفته؛ كما كان على وعى تام بآراء وفلسفات آباء الكنيسة الأوائل، وكذا كتاب العصر الوسيط الأوائل والوسيطيين متضمنًا الكُتاب المسلمين والعرب[١٥].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن تقسيم مؤلفات القديس توما الإكويني إلى خمسة أقسام يمكن عرضها على النحو التالى: -

١- شروح على الأسفار المقدسة.

٢- شروح فلسفية ولاهوتية وتشمل: - شروحه على : كتاب الحكم لبطرس اللومباردى (١٢٥٤ –١٢٥٦م)، وحول الكتيبات اللاهوتية لبويسيوس (١٢٥٧ – ١٢٥٨م)، وحول الأسماء الإلهية لدنييس المنحول (١٢٦٠م)، وحول كتاب العلل (١٢٧١-١٢٧٢م)، وحول أغلب كتب المنطق والطبيعة وما بعد الطبيعة لأرسطو (١٢٦٦ – ١٢٧٤م).

٣- كتابات تناولت المسائل المتنازع عليها، والمسائل المتفرقة.

٤- كتيبات حول موضوعات متنوعة مثل: "فى الماهية والوجود"، (١٢٥٠ – ١٢٥٦م)، و "فى خلود العالم" (١٢٧٠م).

٥- الخلاصتان وهما: الخلاصة ضد الخوارج* (١٢٥٩ – ١٢٦٤م)، والخلاصة اللاهوتية (١٢٦٦-١٢٧٤م).[١٦]

ولا غنى لأى باحث فى فلسفة القديس توما الإكويني ومعرفة أفكاره –إن عجز عن الإلمام بكل أعماله – عن الإطلاع على هاتين الخلاصتين؛ وإن كانت الأخيرة منهما قد كتبت – على حد تعبير القديس توما الأكوينى– من أجل المبتدئين، إلا أنها زاخرة بالآراء والأفكار ذات الصلة الوثيقة بفلسفة هذا القديس العظيم؛ وبالتالي فهي لم تكن عملاً عقائديًا جافًا، ولكنها كانت أشبه برحلة من الاستكشافات والتساؤلات [١٧]؛ إذ على الرغم من كم المنطق والعقلانية التى تحققت فى هذا المؤلف (أعنى الخلاصة اللاهوتية)، إلا أن القديس توما الإكويني لم يعتمد فيها على المنطق الجاف والفكر العقلانى فقط، ولكن على الروحانية العميقة والفكر اللاهوتى المتعلق بقوة بحياة الكنيسة وروح العقيدة[١٨]؛ إذ استطاع القديس توما الإكويني أن يجمع -فى هذه الخلاصة - أسرار الإيمان، وأن يصيغها فى درب من كاتدرائية روحية جعل عنوانها الخلاصة اللاهوتية[١٩]، أما مؤلفه: الخلاصة ضد الخوارج"، فهو يبحث فيه بشكل عام عن الله أولاً، ثم فى تسلسل الكائنات المنبثقة عنه، ثم فى مصير الإنسان وعودته إلى الله فى الحياة الأبدية[٢٠]، وهو ينقسم إلى ثلاثة كتب: -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتناول الكتاب الأول: موضوع الله (الواحد)، ويعالج الكتاب الثانى: موضوع الأخلاق، أما الكتاب الثالث فيتناول موضوع العقائد؛ كما يعرض فيه لموضوع خلق الله للعالم والإنسان والملائكة؛ ويعد هذا العمل بمثابة تفسير منهجى متكامل؛ كان يهدف منه القديس توما الإكويني إلى تقديم العقيدة المسيحة بطريقة تقنع معارضيها –اليهود والمسلمين – بالحق الذى فيها؛ كما كان الهدف الأكبر من هذا الكتاب العمل على تعزيز الوحدة المسيحية؛ وذلك بالتركيز على المعتقدات المشتركة بين الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية.[٢١]

وبالإضافة إلى كل هذا الإنتاج الضخم؛ فقد ترك لنا القديس توما الإكويني مجموعة هائلة من مناقشاته الفلسفية ومعاركه الفكرية فى مختلف المعاهد الدراسية والمحافل العلمية التى شارك فيها، كما ترك لنا تفسيراته لأسفار الكتاب المقدسة بعهديه (القديم والجديد). [٢٢]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول: "ماهية الله ووجوده عند القديس توما الأكوينى"

أ- ماهية الله:

يمثل الله – عند القديس توما الأكوينى– نمطًا من أنماط الوجود المجرد غير المادى وغير الجسدى؛ ومن هنا كان تأكيده على أن قدرة الإنسان على معرفة الله – في هذه الحياة الدنيا تعد- أمرًا محدودًا للغاية، كما أن سعى الإنسان لإدراك الذات الإلهية – في هذا العالم – يمثل غاية لا تدرك؛ وذلك لأن الله ليس بذى جسد، كما أنه أعلى من أن يكون مقترناً بصورة، أو محددًا بمادة؛ فهو فعل محض Pure-act ؛ وبالتالى فلا إمكانية ولا احتمالية فيه.[٢٣]

ومن هنا يؤكد القديس توما الإكويني أنه ليس لدينا–فى هذه الحياة الدنيا –أى حدس بالماهية الإلهية؛ وذلك لأننا نعتمد فى معارفنا على الإدراك الحسىSense- Perception؛ ولما كان الله فوق كل حس out of Sense وكل معرفة حسية، وأبعد ما يكون عن حواسنا[٢٤]،فلا يمكن بالتالى معرفته، إذا كيف يمكن أن نصل إلى معرفة تتجاوز نطاق حواسنا؟!! وتتسامى عن تجاربنا الحسية؟! وكيف يمكن لكلمات اللغة البشرية أن تعبر عن طبيعة الذات الإلهية؟![٢٥]

كما يبين القديس توما الإكويني أننا لا نستطيع معرفة الله عن طريق العقل مؤكدًا أن الجوهر الإلهى يفوق –فى ضخامته - كل شكل يمكن أن تبلغة عقولنا[٢٦]؛وهو فى هذا يقول:"لا يمكن للعقل البشرى أن يصل -بملكته الفطرية -إلى إدراك ماهية الجوهر الإلهى؛ وذلك لأن معرفتنا العقلية تبدأ بمقتضى نمط الحياة الحاضرة المدركة بالحس؛ وبالتالى فإن ما لا يقع تحت الحواس لا يمكن أن يدرك من قبل العقل البشرى؛ إلا إذا تم استنباطه من الحواس ابتداءً؛ فى حين أن المحسوسات لا يمكن أن تقود عقلنا إلى إدراك كنه، أو ماهية الجوهر الإلهى؛ لأنها لا تعدو أن تكون معلولات؛ وبالتالى فهى لا تضاهى شرف العلة".[٢٧]

ويقول أيضًا مؤكدا على الفكرة نفسها: "إن الموضوع المناسب للعقل البشرى هو ماهية الشئ المادى؛ فالعقل يبدأ من الأشياء الحسية، ويشرع فى المعرفة معتمدًا على الصور الذهنية؛ وذلك وفقًا للمبدأ الأرسطى القائل بأنه "لا يوجد شيء فى العقل ما لم يتواجد أولاً فى الحس"[٢٨]؛ بحيث يبدو العقل البشرى وكأنه محصور فى معرفة الأشياء المادية، ولا يستطيع – نظرًا لطبيعته – أن يتجاوزها إلى معرفة الأشياء الروحية؛ والنتيجة الطبيعية لهذا هو أنه ليس فى استطاعتنا، أو بالأحرى ليس فى استطاعة العقل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البشرى أن يعرف الماهية الإلهية كما هى فى حد ذاتها؛ ولكن فقط كما تتمثل فى سائر المخلوقات[٢٩]؛وهذا يعنى أننا لا نستطيع – عن طريق العقل -أن نصل إلى معرفة الله على نحو كامل وشامل، وإنما نستطيع معرفته بقدر ما تظهره لنا الأشياء الحسية؛ وذلك بطريقة غير مباشرة ولا مكتملة؛ بحيث إننا نتعرف على الله بوصفه علة As a Cause للمخلوقات وسائر الكائنات.[٣٠]

وبالتالى يكون خلق الله لهذا العالم بمثابة نوع من أنواع الكشف الإلهى -إن صح التعبير -؛ وهذا الكشف يعد بدوره – نوعًا من أنواع البرهان العقلى، والدليل المرئى (المنظور) على وجود الله؛ وبالتالى يكون هذا العالم – بصورته الحالية وبمن فيه وما فيه - دلالة واضحة وبرهان أكيد على وجود الله؛ فالعالم – إذًا– بمثابة كتاب مفتوح يستطيع أن يرى فيه العقل البشرى صورة الله .[٣١]

يقول القديس توما الأكوينى: "إن المعرفة الطبيعية للعالم إنما هى معرفة الله، واكتشافًا لذاته الإلهية المقدسة عن طريق أعماله وفعالياته في الأشياء الطبيعية المرئية (أى العالم)؛ بحيث يمكن القول بأننا "نرى الله فى كل ما نرى".[٣٢]

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأننا نستطيع أن نتعرف على الله من خلال أعماله، وليس من خلال ذاته، وذلك عن طريق النظر إلى الكون المحيط؛ والذى نستطيع أن ندركه بعقلنا؛ بحيث تشكل فعالية العقل الإنساني وإدراكه عاملاً مهمًا فى إدراك ديناميه الكون وإظهار طلاقة قدرة خالقة فى الخلق والإحكام والتدبير.[٣٣]

ولكن إذا كان الأمر كذلك؛ فكيف يمكن معرفة الله – إذًا– من خلال قوتنا البشرية الضئيلة؟! وهنا يجيب القديس توما الإكويني بقوله: "إنه يمكن ذلك عن طريق ما يعرف بالمماثلة، أو المناظرة Analogy؛ والتى تعتمد – بشكل مباشر –على التفرقةبين الوجود والماهية[٣٤]؛ وبيان ذلك عنده أن الصفات التى تتصف بها الكائنات وسائر الموجودات مثل: الوجود – الخيرية – الجمال – السكون؛ تكون متحققة لا محالة – بصورتها العظمى وشكلها النهائى–فى الله، ليس فقط فى كونها تمثل عين ذاته، ولكن أيضًا فى كونها قائمة ومتحققة فى الذات البشرية من خلاله؛ وبالتالى فلا بد إذًا من القول بوجود ما يسمى "بالألوهية" Godhood؛ تلك التى تمثل منبعًا وتكون مصدرًا لكل هذه الصفات والفضائل، ولكن بطريقة لا يمكن وصفها، أو التعبير عنها؛ بمعنى أننا إذا كنا نطلق لفظة (الوجود) على الوجود الإلهى والوجود البشرى؛ فإن هذا لا يعنى أنهما متساويان، أو بالمعنى الأدق أنهما فى مرتبة واحدة، صحيح أن الوجود صفة مشتركة تجمع بينهما، أو بالأحرى أنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تطلق على كلاهما معًا، إلا أن هذا لا يتجاوز مستوى التشبيه، أو الاشتراك في صفة الوجود فقط مع الاحتفاظ بالفارق الشاسع بينهما.وهذا أمر طبيعى، بل وبدهّى؛ إذ من غير المعقول أن نطلق بعض الصفات على الله –الجامع لها فى ذاته –وعلى المخلوقات بطريقة متساوية، ولكن الأمر لا يتعدى التماثل أو التشابه فقط؛ بحيث يتصف الإنسان بالخيرية ويكون الله هو الخير فى ذاته،وبالجمال ويكون الله هو الجمال فى ذاته، وهكذا فى سائر الصفات والفضائل الأخرى.[٣٥]

وسوف نعود إلى هذه النقطة بالتفصيل أثناء دراستنا للمبحث الخاص بصفات الله عند القديس توما الأكوينى.

وأود أن أشير إلى أن القديس توما الإكويني متأثر هنا ولا محالة بأستاذه القديس ألبرت الكبير*الذى أكد أن صفات الله تعد هى عين ذاته؛ بمعنى أنها ليست مضافة إليه، ولا محمولة عليه؛ كما يبدو تأثره به أيضًا فيما يتعلق بالجمع بين الوجود والماهية فى الذات العلية، حيث أكد القديس ألبرت أن ماهية الله لا يمكن أن تنفصل عن وجوده، مبينًا أنه أيًا كانت الأسماء التى يتصف بها الله؛ فإنها يمكن أن تحمل عليه، ولكن بمعناها الأسمى وبمفهومها الأعلى الذى يرقى فوق كل معنى حسى، ويصعد فوق كل تصور بشرى؛ فإذا كانت صفة الوجود تنطبق على كل كائن بشرى بشكل حسى؛ فإنها تنطبق على الله ولكن بكونه يمثل الوجود فى ذاتهbeing in itself.[٣٦]

كما أود أن أشير الى أن القديس توما الإكويني قد تأثر – فيما يتعلق بمعرفة الله عن طريق مخلوقاته –بشكل مباشر بالقديس بولس* الذى أكد أن معرفة كمالات الله غير المنظورة،أى"غير المرئية" تتحقق من خلال المنظورات،أى"المرئيات".

ب - أدلة وجوده:

لقد كان لزامًا على القديس توما الإكويني أن يبرهن لنا على فكرة وجود الله؛ إذ لم تكن تلك الفكرة عنده بمثابة فكرة فطرية؛ تكمن فى قلب كل إنسان، ولا تتطلب البرهان؛ بحيث إننا لا نستطيع أن نتصور عكسها، أو أن نعقل نقيضها[٣٧]، فلقد كان الإلحاد أمرًا شائعًا ومألوفًا؛ وبالتالى فقد أصبح من الطبيعى– إن لم يكن من الضرورى– البرهنة على وجود الله.[٣٨]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولقد قدم لنا القديس توما الإكويني خمسة أدلة على وجود الله اعتمدت – بشكل مباشر – على الطريق الصاعد – إن صح التعبير – مؤكدًا أن النظر إلى العالم الخارجى يقودنا – بالضرورة – إلى إثبات وجود الله.[٣٩]

ويمكن عرض هذه الأدلة على النحو التالى:

١ـ **الدليل الأول**: دليل الحركة: ومؤداه أن كل متحرك لا بد له من محرك يحركه، وهذا المحرك الذى يحركه لا يستمد حركته من ذاته، بل من محرك ثان؛ وهذا المحرك الثاني يفتقر إلى محرك ثالث يستمد منه حركته، غير أنه لما كان من غير المعقول أن نستمر فى سلسلة المحركين والمتحركين إلى مالا نهاية، فلابد إذًا من الوقوف عند محرك أول ثابت يحرك العالم دون أن يتحرك، وهذا المحرك هو الله[٤٠].

يقول القديس توما الإكوينى:- "إن فى العالم أشياء تتحرك، ولكن كل ما يتحرك يتحرك بغيره لابذاته؛ لأنه ما من شئ يتحرك إلا بما هو بالقوة، وما من شئ يُحركِ إلا بما هو بالفعل، وذلك لأن التحريك ليس إلا إخراج الشئ من القوة إلى الفعل، وليس من الممكن أن يكون الشئ ذاته بالقوة وبالفعل معًا؛ وبالتالى فليس من الممكن أن يكون الشئ عينه محركا ومتحركًا فى آن واحد؛ أو بالأحرى أنه يُحرك ذاته؛ فينبغى– إذًا– أن كل ما يتحرك يكون متحركًا بغيره، وإن كان مابه يتحرك؛ فينبغى أن يتحرك هو أيضًا بغيره وهكذا، ولكننا لا نستطيع أن نتسلسل-فى هذا الامر - إلى ما لا نهاية؛ وبالتالى فلا بد من وجود محرك أول يحرك ولا يتحرك البتة؛ وهذا ما يعنى به الجميع "الله" .[٤١]

ومن الملاحظ أن القديس توما الأكويني– متأثر فى هذا الدليل – بشكل مباشر – بأرسطو، ولكن وعلى الرغم من أن أبعاد الفكرة واحدة ومشتركة بين كل منهما إلا أن الهدف عندهما ليس واحداً، إذ المحرك الأول عند أرسطو ليس أكثر من علة فاعلة للحركة وعلة غائية أيضاً، بحيث يعتمد عمله على تحريك الفلك المحيط وإلى جانبه محركون مساعدون له قد يصل عددهم إلى أكثر من ٥٤ محركاً[٤٢]، أما القديس توما الإكويني فينادى بوجود محرك واحد ثابت يحرك العالم مباشرة دون وساطة، كما يرفض القول بتعدد المحركين؛ وهذا – بالطبع –يعد أمرًا طبيعيًا؛ فالقديس توما الإكويني رجل دين وصاحب ديانة سماوية تؤمن بالإله وتقدس صفاته، وذلك على عكس أرسطو؛ فهو فيلسوف وثنى صاحب فلسفة تنفى القول بالعناية والوحدانية وتؤمن بالتعدد والوثنية .

٢ـ **الدليل الثاني**: دليل العلية، أو السببية، أو العلة الفاعلة: وهو دليل أيضاً مستفاد – بشكل مباشر – من أصول أرسطية ومؤداه أن كل علة تفتقر إلى معلول، وكل سبب يحتاج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى مسبب، أو بالأحرى لابد له من مسبب، ولما كان من غير المعقول أن نتدرج في سلسلة العلل والمعلولات إلى مالا نهاية؛ فلابد– إذاً– أن نقف عند علة أولى فاعلة Prime – Reason. وهذه العلة هى الله.[٤٣]

ولعل المسألة هنا تمثل تعاقب للعلل- إن صح التعبير- بحيث تعتمد إحداها على الأخرى على نحو ما يشبه حلقات سلسلة معلقة في السقف؛ بحيث يكون السقف هو العلة الأولى أو بالمعنى الأدق هو العلة غير المعلولة، لأنه ليس حلقة معلقة من أى شئ آخر، ومن ثم فلابد من القول بوجود علة غير مسبوقة بعلل أخرى يعتمد عليها العالم في وجوده؛ وهذه العلة هى الله[٤٤]، وفى بيان ذلك يقول القديس توما الأكوينى:- "إنه لا بد لوجود المحسوسات من وجود علل فاعلة متسلسلة، ولكن هذه العلل لا يمكن أن تكون عللاً فاعله لذاتها، كما أنه لا يمكن أن تسير هذه العلل الفاعلة إلى ما لا نهاية؛ وذلك لأنه إذا رجعنا في العلل الفاعلة إلى ما لا نهاية له؛ فلن تكون ثمة علة أولى،وهذا يعد أمرًا غير صحيح، ومن ثم فلابد إذًامن وجود علة أولى فاعلة،وهذا ما نسميه الله".[٤٥]

ومن الواضح أن القديس توما الإكويني متأثر أيضًا في هذا الدليل بأرسطو الذى أكد فى كتابه ما بعد الطبيعة أن جميع العلل المنظمة يكون الحد الأول فيها علة الأوسط، والأوسط علة الأخير، سواء أكان هناك حد أوسط واحد أو أكثر؛ فإن حذفت العلة حذف أيضًا ما تقوم له مقام العلة، وبناءً عليه؛ فإذا حذف الحد الأول؛ فلن يكون فى إمكان الحد الأوسط أن يكون علة، ولكن إذا تابعنا السلسلة إلى ما لا نهاية؛ فلن تكون هناك أية علة تمثل العلة الأولى، ومن ثم فإن جميع العلل الأخرى وهى الحدود الوسطى ستحذف؛ وهذا يعد خلف بالبداهة، وبالتالى فلا بد من القول بوجود علة أولى فاعلة وهى الله.[٤٦]

ومن الملاحظ أن القديس توما الأكويني على الرغم من تأثره الشديد بأرسطو في القول بهذا الدليل، إلا أن الهدف عند كليهما ليس واحداً أيضًا– كما هو الحال في الدليل الأول – ؛ فأرسطو لم يعرض لهذا الدليل لإثبات وجود الله ، ولكن لإثبات استحالة التسلسل في جنس العلل إلى مالا نهاية، وضرورة الوقوف عند علة أولى، أما القديس توما الأكويني فيهدف منه إلى بيان ضرورة وجود علة خالقة لهذا الكون؛ فإذا كان الموجود المتحرك غير متحرك بذاته؛ فهو بالأحرى غير موجود بذاته.[٤٧]

٣ـ الدليل الثالث: دليل الممكن والواجب: وخلاصته أن هناك أشياء ممكنة الوجود، وكل ما هو ممكن الوجود يمكن أن يوجد ويمكن ألا يوجد أيضاً، ولكنه إذا وجد فإن ذلك يعنى أنه لا يستمد وجوده من ذاته، وإنما لابد أن يستمده من غيره، ولكننا بذلك نعود إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البرهان الثانى، وهو عدم التسلسل فى إطار العلل والمعلولات إلى مالا نهاية، ولذا وجب القول بوجود واجب الوجود بذاته؛أى الذى لا يحتاج فى وجوده إلى غيره ويكتسب غيره وجوده منه، وهو الله.[٤٨]

وفى توضيح هذه الفكرة يقول القديس توما الأكوينى: "إننا نجد فى الأشياء أشياء يمكن أن تكون كما يمكن ألا تكون، كما أن ما يمكن أن يكون لا يكون موجودًا بذاته ولكن بغيره؛ لأن ما ليس موجودًا لا يلج الوجود إلا بما هو موجود، وبالتالى فإنه ليس كل ما هو موجود هو ممكن، بل ينبغى أن يكون فى الأشياء واجب، وكل واجب إما أن تكون علة وجوبه فى غيره، وإما أن لا تكون؛ لأنه لا يمكن التسلسل إلى ما لا نهاية فى العلل الواجبة التى يشترط لوجوبها علة. وإذًا؛ فينبغى وجود كائن واجب بذاته؛ بحيث لا تكون علة وجوبه فى غيره، بل يكون هو علة وجوب غيره وهو الله"[٤٩]

ومن الملاحظ أن هذا الدليل يقوم بشكل مباشر على فكرة العلاقة القائمة والمتحققة بين الوجود والماهية، أو بالأحرى على فكرة الاقتران بين الماهية والوجود واعتبارهما شيئًا واحدًا[٥٠]، رابطًا بينهما وبين فكرتى القوة (أى الإمكان)، والفعل (أى التحقق)؛ فالماهية إمكان محض، والوجود تحقق محض، وهكذا يوجد في الأشياء المتناهية مزيجًا من الإمكان والوجود؛ فوجود الشئ هو ممارسة فعالية ما؛ وهذه فاعلية ينبغى أن تكون مستمدة من شئ آخر وهو الله[٥١].

ومن الواضح أن هذه الفكرة تمتد إلى جذور لاهوتية وأبعاد دينية في المقام الأول؛ فالقول بهوية واحدة أو ماهية واحدة للشىء، أو بالأحرى أن وجود الشئ يقتضى وجود ماهيته يعنى أن هذا الشئ موجود بذاته، أو بالتعبير الفلسفى أنه واجب الوجود، وهنا تكون العودة المباشرة إلى الله؛ إذ لا يمكن لسائر الكائنات الأخرى إلا أن تكون ممكنة الوجود؛ بحيث إنها تستمد وجودها لا من ذاتها، ولكن من شئ آخر، كما أن ماهيتها تكون ممكنة الوجود؛ بحيث يمكن تعقلها بدون وجودها، ما عدا الله الذى تقترن ماهيته بوجوده بشكل ضرورى، مع الأخذ فى الاعتبار أن الوجود هنا – وفى هذه الحالة – لا يكون مضافًا إلى الماهية، ولكنه إتمام للقدرة التى بها تتحقق الماهية. [٥٢]

وهنا - وبلا أدنى شك – يبدو أثر الفلسفة الرشدية* في فكر القديس توما الأكوينى؛ إذ نجد ابن رشد قد أكد أنه ليس بين الماهية والوجود سوى فارق فى الاعتبار الفعلى؛ بحيث يكون من الممكن أن نتعقل الماهية بدون تصورها موجودة، أما أن نفترض أن هناك ماهية ليس لها وجود؛ فهذا يعد ضربًا من الخيال؛ هذا فيما يتعلق بالممكنات؛ أما فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إطار الواجب؛ فإننا نجد أن واجب الوجود هو الموجود الوحيد الذي تقتضى ماهية وجوده.[٥٣]

ومن الواضح أن القديس توما الأكويني متأثر فى هذا الدليل أيضاً بأرسطو، غير أن الهدف عند كل منهما ليس واحداً، حيث يرتب أرسطو وجوب أو ضرورة القول بوجود واجب الوجود على القول بقدم العالم والحركة، ويعتبر ذلك نتيجة مباشرة لهما، أما القديس توما الإكويني فيرفض ذلك، وينادى بأن فكرة "القوة والفعل" تحتم القول بإثبات الكائن واجب الوجود بذاته وهو الله.[٥٤]

٤ـ الدليل الرابع: دليل التدرج فى الكمالات: ويقوم هذا الدليل على الاعتراف بوجود درجات مختلفة من الكمال فى الأشياء المتناهية وهذا –فى حد ذاته – يفترض ضرورة وجود كائن تام الكمال، ولكن إذا كانت هناك درجات للكمال؛ فلا بد أن يكون هناك شئ كامل على الإطلاق؛ نستطيع من خلاله أن نفرق بين درجات الكمال النسبى[٥٥].

وبيان ذلك أن الموجودات جميعاً تتفاوت فى درجات الصفات العامة لها كالرشاقة والجمال، والخير، والبساطة، والكمال، والحكمة، والإرادة، والصدق وما إلى ذلك، غير أنه لما كانت كل هذه الدرجات وكل هذا التفاوت يرتد إلى من هو غاية فى كل هذه الكمالات؛ بحيث لا يمكن أن يوجد من هو حاصل على أعلى منه فى هذه الصفات؛ فلابد إذًا من القول بوجود موجود هو غاية فى هذه الصفات والكمالات،أى أنه يجمع بين الجمال المطلق، والكمال المطلق، والخير المطلق، والكرم المطلق، والبساطة المطلقة، والحكمة المطلقة، والإرادة المطلقة والصدق المطلق، وهذا الكائن الجامع لكل هذه الصفات المطلقة هو بلا شك الله؛فهو إذًاموجود. [٥٦]

وفى توضيح فكرة هذا الدليل يقول القديس توما الأكوينى:- "إنه يوجد فى الكائنات درجات من الصفات؛ فهناك ما هو أقل وأكثر،أصغر وأكبر، وهكذا، ولكن الأصغر والأكبر إنما يقال عن أشياء مختلفة بمقدار قربها أو بعدها عن ما هو كبير حقًا، كما أن الأكثر حرارة يقال نسبة إلى ما هو حار جدًا؛ وبالتالى فلابد ان يكون هناك ما ليس أحق منه، ولا أصلح، ولا أشرف، ولا أخير منه، وهو بالتالى ما ليس أعظم منه كيانًا؛ فينبغى إذًا أن يكون ثمة كائن هو علة الوجود، والخير، والصلاح، والشرف، وكل كمال فى الكائنات، وهذا هو ما نسميه الله".[٥٧]

ويقول أيضًا مؤكدًا على الفكرة نفسها:-"إننا نستطيع أن نقارن بين أمرين من خلال حقيقة كل منهما، وأن نبين أن أحدهما أكثر حقيقة والآخر أقل، غير أن هذه المقارنة لا يمكن أن تتحقق إلا بالإحالة إلى حق مطلق أو موجود مطلق وهو الله".[٥٨]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولقد أثار هذا الدليل الكثير من الجدل، واختلف فى تأويله اختلافًا شديدًا، وذلك لما ينطوى عليه من سمة انطولوجية تصورية تجعله شبيهًا بالحجة الأنطولوجية التى قال بها القديس أنسلم*[٥٩].

كما اختلفت الآراء أيضًا حول هذا الدليل؛ فهناك من قال بأنه مستمد من أصول أفلاطونية على أساس فكرة المشاركة والعلة الصورية التى قال بها أفلاطون، وهناك من قال بأنه مستمد من أصول أرسطية على أساس أن الشئ الحاصل على طبيعة ما للغاية هو دائماً مصدر اشتراك الأشياء الأخرى فى تلك الطبيعة.[٦٠]

٥ـ الدليل الخامس: دليل النظام: ومؤداه أن العالم يسوده نوع من النظام؛ وهذا النظام دليل على وجود موجود عاقل خارج عن هذا العالم، تلبى غاياته على هذا النحو، مادام من المستحيل أن تكون للأشياء المادية غايات فى ذاتها؛ وهذا الموجود العاقل هو الله؛ وبالتالى فهو موجود.[٦١]

ومن الملاحظ أن هذا الدليل يقوم على ضرورة إيجاد تعليل لهذا النظام الحادث فى الكون؛ فالكون كله منظم نظام دقيق؛ وهذا النظام الدقيق يقتضى وجود منظم، أو علة منظمة؛ وهذه العلة المنظمة لابد – بالضرورة– أن تكون عاقلة؛ لأن كل نظام لابد بالضرورة أن يكون قائماً على العقل، والعلة المنظمة العاقلة لهذا العالم هى الله؛إذًا الله موجود.[٦٢]

وفى بيان فكرة هذا الدليل يقول القديس توما الإكوينى:- "إننا نرى بعض الكائنات تعمل لغاية، وتهدف لغرض، وتسعى إلى بلوغ ما هو أصلح؛ وبالتالى فهى لا تبلغ غايتها اتفاقا ولكن عن قصد، غير أن ما لا يملك معرفة، لا يستطيع أن يدرك غايته إلا بمقدار ما يسيره إليها ويوجهه نحوها كائن كامل عارف وعاقل؛ وبالتالى فينبغى– إذًا– أن يكون ثمة كائن كامل وعاقل يوجه الكائنات الطبيعية إلى غايتها ويهدف بها إلى مقصدها، وهو ما نسميه الله".[٦٣]

ويقول أيضًا:- "من المحال أن تتوافق أشياء متنافرة ومتناقضة فى نظام واحد، إلا إذا ساسها موجود يجبر كل شئ على نزوعه إلى غاية محددة، والحقيقة إننا نشاهد فى العالم أشياء من طبيعة متباينة تتوافق فى نظام واحد؛ وذلك بطريقة شائعة لا نادرة ومن ثم فلا بد- إذًا– من وجود موجود يُسير العالم ويدبره وهو الله، إذًا الله موجود[٦٤]، ولقد ذكر القديس توما الإكويني أن يوحنا الدمشقى* هو ملهمه فى القول بهذا الدليل.[٦٥]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن الملاحظ أن هذا الدليل مستفاد أيضًا من أرسطو؛ فلقد ورد فى السماع الطبيعى فى المقالة الثانية، أنه قال: "إن كل شيء فى الطبيعة مرتب لغاية ومنسق لغرض، وكل نظام لا بد له من علة عاقلة أوجدته؛ ومن ثم فلا بد من القول بوجود علة عاقلة تمثل أصل هذا النظام "[٦٦].

ولكن وعلى الرغم من تأثر القديس توما الإكويني بأرسطو في هذا الدليل، إلا أن الهدف مختلف عند أرسطو عنه عند القديس توما الأكويني شأنه فى ذلك شأن الأدلة السابقة؛ إذ نجد أرسطو ينفى - تماماً - فكرة العناية الإلهية، مؤكداً أن الله لا يعلم شيئاً عن هذا العالم المادى، ولا عن هذه الطبيعة الكونية، بل هى التى تسعى إليه شوقاً إلى هذا الخير الأعظم، أما القديس توما الأكويني فيهدف من هذا الدليل إلى بيان فكرة العناية، وتفسير الغائية الحادثة فى هذا الكون العظيم، أى أن الله عنده يمثل علة فاعلة موجهه إلى غاية.[٦٧]

كما يمكن القول بأن هذا الدليل مستفاد أيضاً من أصول أفلاطونية، حيث يؤكد أفلاطون أن كل الكائنات تفعل لغاية وتهدف لغرض، ولا شيء يحدث باطلاً أو عبثاً في هذا الكون العظيم؛ فكل الموجودات تميل إلى تحقيق غاية هادفة وغرض محدد، وهذه كانت إحدى أدلة أفلاطون على وجود الله.

وعلى الجملة يمكن القول بأن هذا الدليل يعد دليلاً شائعًا يقول به الرجل البدائى، كما يقول به الفيلسوف، كما أنه موجود بأسره فى الكتب المقدسة، بل بالأحرى يعد أهم برهان تلجأ إليه الكتب المقدسة، وليس أدل على ذلك مما ورد فى نصوص الإنجيل حيث جاء فيما يتعلق بهذه الفكرة والتأكيد عليها قوله: "لقد رتب كل شئ بمقدار وعدد ووزن"[٦٨]، وجاء أيضًا: "إن الرب صنع الكل لغرضه والشرير أيضًا ليوم الشر".[٦٩]

ومن الملاحظ أن الأدلة الخمسة تقوم على أساس فكرة واحدة وعامة، تبدأ من الأشياء المحسوسة التى تملأ العالم، وتفترض سيادة قانون العلية، أو السببية، سواء فى الحركة التى تحتاج إلى محرك، أو الوجود الممكن الذى يحتاج إلى علة واجبة الوجود توجده؛ بحيث تجعلنا نتصور الله على أنه المحرك الأول الذى لا يتحرك، والعلة الفاعلة الأولى للخلق، والموجود الواجب الوجود بذاته، كما تبين أنه يمثل مصدر كل الكمالات والصفات الحسنة، وأنه منظم هذا العالم ومدبر هذا الكون، وبهذا الوصف فإنه يتمتع بكافة الأوصاف الإيجابية بدرجة لامتناهية، وهذا ما سيتم تناوله بالتفصيل فى المبحث التالى المتعلق بصفات الله عند القديس توما الإكوينى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثانى : "صفات الله عند القديس توما الأكوينى"

إذا انتقلنا من إثبات وجود الله إلى معرفة صفاته عند القديس توما الأكوينى، وجدنا أن الأمر ليس يسيرًا؛ إذ من المعروف أن كل معرفة تقوم على أساس معرفة الماهية وإدراك الهوية، ومن ثم فبقدر معرفتنا بالماهية تكون قدرتنا على إدراك الصفات الذاتية؛ ولما كان العقل الإنسانى لا يستطيع أن يصل بمفرده – كما سبق أن ذكرنا من حيث كونه مركبًا من مادة وصورة وليس صورة معرفية – إلى إدراك المعقول الصرف؛ فإنه بالتالى لا يستطيع أن يتعرف على صفات الله إلا بالنذز اليسير[٧٠]، ومن ثم فلم يجد القديس توما الإكويني حلاً للخروج من هذا المأزق إلا بأن يلجأ إلى الطريق السالب – إن صح التعبير – لأجل معرفة صفات الله؛ مؤكدًا أنه يجب أن ننفى عن الله كل ما لا يليق بمقام الألوهية والذات العلية من كمال وتمام[٧١]،وهو في هذا يقول:"إذا كان الله يفوق كل الصنوف الدنيوية؛ فهو -بالتالى– يفتقر إلى الصفات المادية مثل الحركة، والمكان، والشكل، واللون؛ وهو بالأحرى ليس له صفات على الإطلاق؛ وتلك هى فكرة البساطة الإلهية التى تمثل الحقيقة الأساسية للذات العلية؛ فالله هو جوهر ذاته؛ لأنه إذا لم يكن كذلك، لما كان كائنًا بسيطًا، بل كائنًا مركبًا من جوهر ووجود"[٧٢]؛ فعلى سبيل المثال القبعة تتكون من جزء علوى (تاج)، وحافة وطرف؛ وهذا لا ينطبق على الله الذى لا يتركب من أجزاء؛ بل إنه في غاية البساطة؛ بحيث يبدو كأنه ذرة أو جزئ – إن جاز التعبير – لا يمكن تجزئته إلى ما هو أصغر منه؛ ولكنه ذات جوهر ووجود؛ غير أنه لا يوجد أى تمييز – على الإطلاق – بين جوهره وجوهر وجوده؛ فالله هو الموجود الوحيد الذى يتحقق جوهره فى وجوده ببساطة متناهية؛ فالله ليس موجودًا، بل هو الوجود ذاته. [٧٣]

ومن هنا فقد اعتمد القديس توما الإكوينى فى حديثه عن الصفات الإلهية على طريق إيجابى يسلك (مسلك التشبيه)، وطريق سلبى يسلك (مسلك التنزيه)؛ بمعنى أنه اعتمد فى بيان صفات الله على طريق التنزيه؛ إذ نجده قد ذكر ما ليس هو أكثر من ذكر ما هو عليه[٧٤]، وبيان ذلك أن صفات الله عنده قد انقسمت إلى صفات سلبية،أى(صفات نفى)– إن جاز التعبير –وصفات إيجابية أى(صفات ثبوت)؛ والصفات السلبية تعنى ما ليس هو؛ والمقصود بها تلك الصفات التى تنزهه عما لا يليق به باعتباره الكائن الأول المطلق الذى لا يجوز عليه الفناء والتركيب، ومن أمثلتها أنه ليس بجسم، ولكنه صورة مفارقة متعالية، وأنه روح خالصة، وأنه برىء من كل نقص، وفساد، وحركة، وتركيب، وتغير وصيرورة، وأنه يمثل عين ماهيته، وعين وجوده، وعين كل ما يثبت له من صفات،أما الصفات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيجابية، أو الثبوتية؛ فهى التى تبين ما هو، أى تلك التى تدل على كمالاته، ومن أمثلتها العلم، والإرادة، والقدرة، والإحاطة، وأنه موجود بالذات، وأنه أزلى أبدى سرمدى، وأنه فعل محض لا تشوبه قوة ولا يخالطه انفعال[٧٥] وهو فى هذا يقول: -"إن هذا الموجود الذى نسميه الله نستطيع أن نستنتج صفاته بطريقة إيجابية من خلال إثبات وجوده بطريقة عقلية[٧٦]،أما الطريقة السلبية فهى ليست عيبا ولا تحدث نقصًا فى الذات الإلهية؛ وذلك لأننا لا نستطيع أن ندرك أى مفهوم إدراكًا جيدًا إلا عن طريق إدراك نقيضه؛ فنحن لا نعرف الخير ولا ندركه إلا إذا كانت لدينا معرفة مسبقة عن الشر وهكذا؛ فالنقيض يوضحه نقيضه [٧٧]، وهذا يعنى أن طبيعة الله لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الصفات التى لا تصف طبيعته – إن صح التعبير – فالله أزلى أبدى، أى لا بداية له ولا نهاية، ثابت غير متحرك ولا متبدل، غير مركب ولا قابل للتركيب من عناصر أو أجزاء، ليس بذى جسم؛ لأن للأجسام أجزاء؛ وهو غير قابل للتجزئة، وليس فيه حوادث عارضة، كما أنه لا يقع تحت جنس من الأجناس؛ ومع ذلك فهو لا ينقصه كمال أى جنس من الأجناس.[٧٨]

غير أن القديس توما الإكويني لم يكتف بالطريق الإيجابى والطريق السلبى لمعرفة صفات الله، ولكنه لجأ إلى طريق آخر، وهو ما يعرف بطريق "قياس النظير"[٧٩]؛ وأقامه على أساس أن كل علة لا بد أن تترك أثرًا فى معلولها؛ لأنه صادر عنها؛ وبالتالى فإذا كان الله هو علة الوجود؛ فلا بد أن نجد تشابهًا بينه وبين الوجود.[٨٠]

غير أن هذا لا يعنى أن هناك تواطؤا*– إن صح التعبير – بين الله وسائر الكائنات والموجودات، كلا؛ فالمماثلة أو المناظرة هنا تتحقق فى إطار فائق العلو؛ بمعنى أنها تعلو فوق كل علو؛ [٨١]؛ فإذا كان المعلول يتشابه مع الله؛ فإنه لا يتساوى معه فى درجة الشبه؛ فالله يتصف بالحكمة وكثير من البشر يوصفون بأنهم حكماء، ولكن حكمة الله مطلقة وغير محدودة؛ بينما حكمة البشر محدودة؛ وهى حكمة نسبية نسبة لما وهبهم الله من ذكاء ومن حسن تصرف، وما نقوله عن الحكمة نقوله أيضًا عن الرحمة والجمال والمعرفة وما شابه ذلك من الصفات[٨٢]؛ فعلى سبيل المثال: إذ قلنا بأن الأشياء تتصف بصفة الجمال؛ فإن الله يكون متصفًا بالصفة نفسها؛ ولكن بدرجة لا تقارن بدرجة اتصاف الأشياء بها؛ بمعنى أنه فوق كل صفة وأعلى من كل كمال؛ فهو عالم يعلو فوق كل علم، وحى يعلو فوق كل حياة، وقادر يعلو فوق كل قدرة وهكذا [٨٣]، كما أن الأشياء تشبه الله فى بعض نواحيها ولا تشبهه فى بعضها الآخر؛ وبالتالى فمن الأفضل أن يقال إن الأشياء تشبه الله على أن يقال إن الله يشبه الأشياء[٨٤]؛ فالله خير وهو خير فى كل ما يوصف بالخير، وهو عاقل وأفعاله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العاقلة هى جوهر ذاته؛ وهو يعقل بجوهره، ويعلم ذاته علمًا تامًا؛ ولكن وعلى الرغم من أن العقل الإلهى لا تركيب فيه؛ فإننا نجد أن الله يعقل أشياء كثيرة.

وقد يبدوفى ذلك إشكالاً عسيرًا؛إذ كيف يمكن التوفيق – إن صح التعبير – بين وصف الذات الإلهية بالبساطة، والعقل الإلهى بأنه لا تركيب فيه، وبأن الله يعقل أشياءً كثيرة؟!

ولكن حل هذا الإشكال يتمثل فى أن الأشياء التى يعقلها الله ليس لها فيه وجودًا متميزًا؛ أو بالأحرى مختلفاً ومتنوعًا ومستقلاً عن ذاته العلية، كما أنها لا تمثل كياناً منفصلاً ومستقلاً عنه - كما قال بذلك أفلاطون-؛ وذلك لأن صور الأشياء الطبيعية لا يمكن وجودها ولا تصورها بالعقل بعيدًا عن المادة؛ فالله يعقل هذه الصور قبل الخلق، أو بالأحرى قبل أن يخلقها؛ وذلك لأجل أن يخلق الأشياء على غرارها ووفقًا لطبيعتها، وهو فى هذا يقول: "إن فكرة العقل الإلهى؛- الذى به يعقل الله ذاته –هى نفسها فكرة"كلمة" الله؛ والتى لا تتضمن فقط صورة الله وهو معقول، بل أيضًا صور كل الأشياء قبل أن تتواجد بشكل حقيقى أو فعلى فى هذا الكون؛ بحيث يكون فى إمكان الله أن يتصور بعقله أشياء كثيرة؛ وذلك لكونه يتصور نوعًا واحدًا معقولاً؛ وهو الجوهر الإلهى؛ وبكونه يعزم عزيمة واحدة معقولة – إن صح التعبير – وهى الكلمة الإلهية"[٨٥]،والعقل الإلهى يشمل فى- جوهره- ما يناسب كل شئ على حدة؛ وذلك لكونه يعلم أوجه الشبه والاختلاف بينه وبين هذا الشئ، مثال ذلك: إن الحياة - لا المعرفة -هى جوهر النبات؛ وبالتالى فالنبات يشبه الله فى كونه حيًا، أو بالأحرى أنه ذو حياة، ولكنه لا يشبه فى كونه لا معرفة له، وكذا الحيوان؛ فهو يشبه الله فى كونه ذو معرفة، ولكنه لا يشبهه فى كونه لا عقل له، وهنا يتضح الاختلاف بين الكائن المخلوق عن الله الخالق؛ وهو فى هذا يقول:-"إن الله يعقل الأشياء كلها فى لحظة واحدة بعينها،كما أن معرفته لا تقوم على الربط بين المعانى ولا تنتقل من فكرة لأخرى،أو تلحق الحجة بالأخرى، كلا؛ فالله هو الحقيقة بأسرها".[٨٦]

ولعل القديس توما الإكويني متأثرًا فى هذه النقطة – المتعلقة بفكرة العقل الإلهى، أو بالأحرى كلمة الله المتضمنة بداخلها على كل صور الأشياء -بالقديس أوغسطين* الذى عبر عن هذه الفكرة بقوله: "إن ما فى العالم من أشياء حقيقية وحوادث قد وجدت مسبقًا فى عقل الله قبل أن توجد على سطح الأرض، تمامًا كما يوجد تخطيط البناء فى عقل المهندس قبل أن يحققه فى الواقع".[٨٧]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما أود أن أشير إلى أن القديس توما الإكويني متأثر فيما يتعلق بنفى الصفات عن الله، أو بالأحرى فيما يتعلق باتخاذ طريق السلب لبيان وصفه ومعرفة صفاته بالقديس ديونيسيوس* الذى أكد أننا نستطيع أن نعرف ما ليس عليه الله أكثر بكثير من أن نعرف ما عليه الله، مؤكدًا أننا إذا أردنا معرفته حقًا؛ فإنه يجب علينا أن نبدأ بالإنكار وبنفى كل ما لدينا من تصورات وأفكار عنه؛ وهذا هو ما يعرف "بالفكر اللاهوتى السلبى"؛ الذى يؤكد أننا لا نستطيع أن نتعرف عليه؛ بمعنى أنه لا يمكن لأى فكر أو تصور نكونه عنه أن يجعلنا نعرفه حقًا، مؤكدًا أن هذا الفكر اللاهوتى السلبى لا يهدم مطلقًا الفكر اللاهوتى الإيجابى، ولكنه يعلمنا أن الله يسمو على كل ما نستطيع أن نثبته له، أو ننكره عليه؛ فعندما نقول عن الله إنه خير؛ فنحن نطبق عليه فكرة الخيرية المعروفة فى المخلوقات، ولكن الله ليس خيرًا بالطريقة المتحققة فى المخلوقات نفسها؛ بل إنه يمثل الخيرية فى ذاتها in it Self؛ أو بالأحرى إن خيريته لا يمكن أن تقاس – بحال من الأحوال –بخيريتنا.(٨٨)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث : "علم الله عند القديس توما الأكوينى"

ترتبط قضية علم الله *عند القديس توما الإكويني ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا بقضية الصفات عنده؛ إذ من المعروف أن صفة العلم هى أهم صفات الذات الإلهية، وأولى خصائص الذات العلية، والحقيقة أن هذه الصفة كانت قد أثارت جدلاً كبيـرًا عنـد لاهوتيي وفلاسفة العصر الوسيط، واختلفوا كثيرًا بشأنها؛ فمنهم من قال بها وأثبتها، ومنهم من رفضها وأنكرها، ولعل هذه القضية تتبلور عند القديس توما الإكويني فى كتاباته الفلسفية، وخصوصًا"الخلاصة اللاهوتية"، و"الخلاصة ضد الخوارج"؛ فيقول فى الخلاصة اللاهوتية: "بعد النظر فيما يتعلق بجوهر الله، بقى وجوب النظر فيمـا يتعلق بعلمه"(٨٩)؛ والحقيقة إن البحث فى العلم الإلهى عند القديس تومـا الإكـويني يدور حول مجموعة من التساؤلات يمكن عرضها على النحو التالى:-

أولاً: هل الله يعلم؟!؛ بمعنى هل صفة العلم الإلهى مفعلة ومتحققـة فـى الـذات الإلهية؟! أم أنها صفة معطلة؟!؛ بمعنى أنه لا يعلم شيئًا على الإطلاق؟!.

ثانيًا: إذا كان الله يعلم؛ فما نوعية العلم الذى يعلمه؟! هل هو يعلـم الكليـات، أم يقتصر علمه على الجزئيات فقط؟! أم أنه يعلم كليهما؟!.

ثالثا: إذا كان الله يعلم؛ فهل علمه يعد علمًا تدريجيا؟! أم أنه يعلم الأشـياء دفعـة واحدة؟

رابعًا: إذا كان الله يعلم؛ فهل هو يعلم اللاموجودات؟! أم أن علمه يقتـصر علـى الموجودات فقط؟!؛ بمعنى هل يقتصر علم الله على ما هو كائن بالفعـل؟ أم أنه يمتد ليشمل ما هو موجود بالقوة أيضًا؟!.

خامسًا: إذا كان الله يعلم؛ فما طبيعة علمه بوجه عام؟؛ بمعنى هل العلم الإلهى ثابت أم متغير؟

سادسًا: إذا كان الله يعلم؛ فما طبيعة علمه بالأشياء؟؛ بمعنى هل علم الله بالأشياء يعد علمًا نظريًا؟ أم أنه يمثل علمًا عمليًا؟

سابعًا: إذ كان الله يعلم؛ فهل هو يعلم بالشرور التى ستحدث فى الكون؟! أم أنـه لا يعلم بها؟!.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتكمن دراستى لهذا المبحث فى محاولة الإجابة عن كل هذه التساؤلات على نحو ما رأى القديس توما الأكوينى.

أولاً: فيما يتعلق بمسألة علم الله بوجه عام؛ بمعنى مدى تحقيق أو تفعيل هذه الصفة لدى الذات الإلهية أو تعطلها؟!.

وهنا يؤكد القديس تومااالإكويني أن الذات الإلهية تعلم؛ بمعنى أن صفة العلم الإلهي متحققه ومفعلة– لا محالة –فى الذات العلية؛ وهذا أمر طبيعى؛ فالعلم في حد ذاته بمثل كمالاً، أو بالأحرى إحدى الكمالات؛ والله كامل؛ وبالتالى فهو حاصل على كل الكمالات؛ ومنها العلم؛ فالكامل يحتوى على كل الكمالات ويشملها فى ذاته؛ وأيضًا لما كان السبب فى كون موجود ما عارفًا؛–بمعنى حاصل على صفة العلم- هو تجرده عن المادة؛ حتى يقبل الصورة المعنوية للشئ المعروف، ولما كانت المعرفة تتفاوت بتفاوت حال التجرد؛ والله هو غاية التجرد عن المادة؛ فهو بالتالى بالغ غاية المعرفة؛ أو بالأحرى يملك أقصى درجات المعرفة، وإن علمه يبلغ غاية الكمال[٩٠]؛وبيان ذلك عنده أن الله روح منزه عن المادة؛ولذا فعلمه غير محدود؛ فالجماد والنبات والحيوان ليس لهم قوة المعرفة، والإنسان لأنه مركب من روح وجسد؛ فإن الروح تعطيه قدرة على المعرفة لكنها قوة محدودة، أما علم الله فهو علم لا حدود له، فهو يعرف ذاته، ويعرف ما هو خارج عن ذاته[٩١]،ولعل القديس توما الإكويني متأثر هنا بقول الرسول بولس:"يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه!".[٩٢]

ومن ثم يمكن القول بأن القديس توما الإكويني يؤكد وجود صفة العلم الإلهى، مبيناً أن هذه الصفة مفعلة ومتحققة –لا محالة –فى الذات الإلهية، وأنها تمثل إحدى خصائص الماهية الإلهية، أو بالأحرى أهم سمات الذات العلية.

ثانيًا: فيما يتعلق بمدى حدود علم الذات الإلهية، أو بالأحرى بنوعية العلم الإلهى؛ بمعنى هل الله يعلم الكليات؛ أم أن علمه يقتصر على الجزئيات؛ أم أنه يعلم كليهما؟!

وهنا يؤكد القديس توما الإكويني أن الله يعلم بالكليات والجزئيات معًا؛ وذلك بلا أدنى شك أو جدال، فالذات العلية تحيط علمًا بالكليات والجزئيات معًا؛ ولا تقتصر على معرفة الكليات دون الجزئيات؛ فعلمه يحيط بالحوادث الكبيرة والصغيرة ولا يقتصر على الحوادث الكبيرة فقط، فهو يحيط بصفات الأشياء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجوهرها، ولا يقتصر على العوارض الخارجية من الصفات والظواهر كعلم الإنسان [٩٣]، وهو فى هذا يقول:- "لما كان العلم على حسب حال العالم (أى العارف)، وبالتالى؛ فلما كان حال الذات الإلهية أعلى من حال المخلوقات؛ فإنه - وبناء على ذلك - لا يمكن أن يكون حال العلم الإلهى (الكامل) كحال العلم البشرى (الناقص)؛ بحيث يكون كليًا أو جزئيًا، ماديًا أو صوريًا"[٩٤] ؛ وإنما يكون – أعنى الله - ملمًا بالجزئيات ومدركًا – تمامًا – للطبيعة الخاصة بكل شئ على حدة؛ وذلك من خلال ما يتمتع به من صور وأشكال وأنماط مختلفة من خلال الكمال الإلهى المتحقق فيه [٩٥]وهو فى هذا المعنى يقول: "إن الله يعلم الجزئيات لأن جميع الكمالات –الموجودة في المخلوقات– موجودة وجودًا سابقًا فى الله على وجه أعلى، ومعرفة الجزئيات تعد كمالاً لنا؛ فلا بد إذًا أن يعرف الله الجزئيات[٩٦]، كما أنه لما كان الله هو علة وجود الأشياء بعلمه، كان عموم علمه على قدر عموم عليته؛ وبالتالى لما كانت قدرة الله الفاعلة تعم لا الصورة فقط، ولكن المادة أيضًا، كان من الضروري أن تمثل ماهيته مبدأً كافيًا لمعرفة جميع مصنوعاته لا بالعموم فقط بل الخصوص؛ بحيث يمتد علمه ليشتمل على الشئ كله –بكافة جزئياته وأدق تفصيلاته –ولا يقتصر على كليته، أو عموميته فقط".[٩٧]

ويربط القديس توما الإكويني بين علم الله بالجزئيات وبين فكرة العناية الإلهية فيقول: "لما كان كل شئ يخضع للعناية الإلهية؛ بحيث لا يغيب عنها شئ صغير كان أو كبيرًا؛ لذلك فلا يكفى أن نقول بأن الله يرعى الكائن الحى بصفة عامة، أو أنه يرعى الإنسان بصفة خاصة، وإنما هو يراقب كل فعل جزئي حر لكل إنسان جزئي، أى لكل فرد على حدة"[٩٨]؛ فالله خلق الأشياء ونظمها ورتبها؛ وفقًا لغاية محددة، وهو يحكم العالم بعنايته الإلهية، أى أنه ينظم الأشياء جميعًا من وجهة نظره، أى من زاوية علمه وعنايته؛ وهذا لا يتحقق إلا إذا كان – أعنى الله – يحيط علمًا بالوجود بكلياته وجزئياته فى آن واحد[٩٩].

وهذا يعنى أن الذات الإلهية ذات معرفة كاملة بالوجود،أو بالأحرى أنها تحيط علمًا بالكليات والجزئيات معًا، وأنها تختلف تمامًا عن الذات البشرية التى تملك معرفة ناقصة بالوجود؛ مؤكدًا أن هذه المعرفة الكاملة لا تقلل بحال من الأحوال من قيمة الذات الإلهية؛ فهذا العلم الكلى والجزئى معًا لا يتنافى مع مقام الذات العلية،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا يقلل من شأنها؛ ولكنه يتناسب مع حالها الذى يحيط علمًا بكل الأشياء (أصاغرها وكبائرها) وبكافة الأمور (أعلاها وأدناها)؛ فهو يعرف الأشياء التوافه؛ لأنه ليس ثمة شيء تافه من كل نواحيه؛ إذ إن لكل شيء جانبًا شريفًا، وإلا فلو كان الأمر غير ذلك؛ لما عرف الله غير نفسه[١٠٠]؛ وبالتالى يكون علم الله عند القديس توما الإكويني شاملاً لأمور الكون كلها، جزئية جزئية؛ بمالا يتنافى مع مقام الذات العلية، أو علو قدر الذات الإلهية، مؤكدًا أن العلم الجزئى فى ذاته وبطريقة مطلقة ممكن تمامًا ما دام الله يملك مثل هذا العلم[١٠١].

ولعل القديس توم الإكويني متأثرًا هنا وفى هذه النقطة بالتحديد باللاهوت المسيحى الذي جاء فى قوله "جميع طرق البشر مكشوفة لعينيه".[١٠٢]

وأود أن أشير إلى أن القديس توما الإكويني يختلف فى هذا الرأى اختلافًا شديدًا مع الفيلسوف اليونانى أرسطو، على الرغم من تأثره الشديد به في كثير من آرائه وأفكاره، وإن اختلفت الأهداف، وتباينت الغايات كما سبق أن بينا؛إذ نجد أرسطو قد أنكر معرفة الله بغيره؛ اعتقادًا منه بأن ذلك يجعل من الله عارفًا منفعلاً مثل غيره، وأنه يضع فى الله معارف أدنى من ذاته، وهذا لا يليق مع مقام الألوهية ومكانة الذات العلية، على نحو ما يرى أرسطو[١٠٣]، كما أنه أنكر معرفته أيضًا بالجزئى على أساس أنه لا يمكن أن يكون هناك علم بالفردى أو بالجزئى بما هو كذلك، وأن العلم هو علم بالكلى على اعتبار أن الكلى هو وحده –وفى ذاته – موضوع العلم .[١٠٤]

كما يبدو اختلافه أيضًا – وفى هذه النقطة – تحديدًا عن ابن سينا"٣٧٠هـ – ٤٢٨هـ"، فيلسوف المشرق العربى؛ الذى قصر علم الله على الكليات دون الجزئيات؛ فجعل معرفة الله معرفة ناقصة بالوجود، مؤكدًا أن الله يعقل كل شئ ولكن على نحو كلى، أى أنه لا ينسب إلى الله العلم بالجزئيات إلا فى كونها كلية، وهو فى بيان هذا المعنى يقول: "إن واجب الوجود يجب ألا يكون علمه بالجزئيات علمًا زمانيًا؛ بحيث يدخل فيه الآن والماضى والمستقبل؛ مما يعرض صفة ذاته لأن تتغير، بل يجب أن يكون علمه بالجزئيات على الوجه المقدس المتعالى عن الزمان والدهر"؛ بمعنى أن علم الله بالكون يكون بالتعقل لا بالإحساس والتخيل؛ ولعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقصود بالتعقل هنا أنه –أى الله –فى علمه يتجاوز الجزئى إلى الكلى؛ لأن هذا من عمل العقل، لا من عمل الحس ولا التخيل"[١٠٥]؛بحيث يكون علم الله للجزئيات من حيث هى كليًا، ويعطى مثالاً على ذلك فيقول: "إذا كنت تعلم حركات السماوات كلها؛ فأنت –بالتالى– تعلم أن كل كسوف إنما يكون بعد زمان وحركة معينة، ويكون بينه وبين كسوف مثله سابق له أو متأخر عنه مدة كذا؛ بحيث يمكن القول بأنه لا يوجد عارضُ من عوارض تلك الكسوفات إلا علمته، غير أن علمك هذا لا يكون علما جزئيًا، ولكنه يمثل علما كليًا؛لأن هذا المعنى يمكن أن ينطبق على كسوفات أخرى كل واحد منها يكون مشابها لحال هذا الكسوف؛وبالتالى فإن علمك يقتصر على أن هذا الكسوف لا يكون إلا بعوارض ومقدمات خاصة بعينها، وهذا يعنى أنه يدرك الأمور الجزئية من حيث هى كلية"[١٠٦]، ولكن هذا لا يعنى تأكيد ابن سينا إدراك الله للجزئيات بتفاصيلها؛ بل هو يصر دائمًا على أنه إذا نسب لله صفة العلم ؛ فإن هذا يكون مستمدًا من القول بأنه - فى ذاته - يعلم كل شئ؛ وهذا يعنى – ضمنيًا – إدراكه للأمور العامة الكلية، وليس للأمور الخاصة التفصيلية.[١٠٧]

ثالثا : فيما يتعلق بمسألة علم الله هل هو تدريجى؟ بمعنى هل فى علم الله تدرج؟ أم أنه يعلم الأشياء دفعة واحدة؟

وهنا يؤكد القديس توما الإكويني أنه ليس فى العلم الإلهى تدرج، بل هو يعلم الأشياء دفعة واحدة؛ وذلك لحضور الذات الإلهية حضورًا تامًا؛ وبالتالى فهو يعلم الأشياء دفعة واحدة ، ولا يكون فى علمه أى تدرج [١٠٨]،وبيان ذلك عنده:- إن التدرج يكون على ضربين:**أحدهما** يكون بحسب التعاقب؛ بمعنى أننا بعد تعقلنا لشئ بالفعل نوجه أنفسنا إلى تعقل شئ آخر وهكذا،**والآخر** بحسب العلية؛ بمعنى أننا إذا أدركنا وتعقلنا المبادئ؛ توصلنا إلى معرفة النتائج. وهنا يبين القديس توما الإكويني أن كلا الأمرين مستحيل على الذات الإلهية؛ فالضرب الأول مستحيل فى حق الله؛ لأن الله يتعقل جميع الأشياء فى واحد وهو ذاته؛ وبالتالى فهو يرى جميع الأشياء دفعة واحدة لا بالتعاقب ولا بالتدرج؛ بحيث تكون جميع الأشياء موجودة فى تعقله ومعلومة فى ذاته[١٠٩]، وكذا الضرب الثانى مستحيل أيضًا فى حق الله؛ لأن الله لا يعرف المعلومات عن طريق العلة – مثلما يُعرف مجهول من خلال مُعلوم قبله، ولكنه يعرفها من خلال العلة ذاتها؛ وبالتالى فليس فى معرفته تدرج"[١١٠]، وهو فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توضيح هذه الفكرة يقول:- "إن علم الله لا يحدث تدريجيًا ولكن دفعة واحدة؛ وذلك لأن حضور الذات الإلهية يكون حضورًا تامًا؛وبالتالى يكون إدراكها لكافة الأشياء إدراكًا تامًا بما يشتمل على الماضى منها والحاضر والمستقبل، والله يعرف ذلك كله بمعرفة واحدة وبسيطة؛ إذ لما كان الله بسيطًا كل البساطة؛بحيث لا يوجد فيه تركيب ولا تجزئة"[١١١]؛ فكذلك فإن صور الأشياء فيه تكون على درجة عالية من البساطة[١١٢]؛ بحيث لا يوجد فيها تركيب ولا تجزئة،ولكنها تكون متحققة بفعل واحد؛ وذلك على عكس التعددية الحادثة فى الأشياء المخلوقة"[١١٣].

رابعًا : هل اللّه يعلم اللاموجودات أم أن علمه يقتصر على الموجودات فقط؟ أو بمعنى آخر هل يقتصر علم اللّه على ما هو كائن بالفعل؟ أم أنه يمتد ليشمل ما هو موجود بالقوة؟

وهنا ينادى القديس توما الإكويني بما يعرف "بالنموذج الأصلى" Proto type؛ والذى يقصد به الصور المتعلقة بالأشياء؛ والتى تكون موجودة ومتحققة فى داخل الذات الإلهية – إن صح التعبير-، أو بالأحرى التى تحويها الذات الإلهية؛ وهذه الصور يقصد بها النماذج، أو بالأحرى الأفكار التى تكون موجودة فى العقل الإلهى، على الرغم من كونها غير موجودة ولا متحققة بالفعل فى أرض الواقع، أى أنها تكون مدركة من خلال المعرفة النظرية فقط، دون أن يكون لها وجود فعلى على أرض الواقع العملى؛بمعنى أنها لا تكون موجودة بالفعل ولكن بالقوة، مؤكدًا أن كلتا الصورتين تكون معروفة إلى الله دون تمييز لإحداهما عن الأخرى[١١٤]،وهو فى توضيح هذه الفكرة يقول:"إن الله يعلم جميع الأشياء، أيًا كانت، وكيفما كانت؛ ولا مانع أن يكون ما ليس موجودًا مطلقًا موجودًا من وجه معين؛ لأن الموجود مطلقًا هو الموجود بالفعل، وما ليس موجودًا بالفعل؛ فهو موجود بالقوة؛ إما بقوة الله، أو بقوة الخليقة؛ غير أن كل ما يمكن للخليقة أن تصنعه، وكل ما يمكن لله أن يصنعه؛ كل ذلك يعلمه الله؛ وإن لم يكن موجودًا بالفعل؛ ومن هنا - وبناء على ذلك - يمكن القول بأن الله يعلم اللاموجودات أيضًا"[١١٥]، على أنه يجب ملاحظة أنه بين هذه الأشياء التى ليست موجودة بالفعل اختلاف يجب مراعاته؛ فإن منها ما ليس موجودًا الآن بالفعل، لكنه قد يوجد، أو بالأحرى سيوجد؛ وهذه جميعها يقال إن الله يعلمها "**بعلم الرؤية**"؛ وذلك لأنه كما كان تعقل الله –الذى هو عين وجوده –يتعلق بالسرمدية -التى تستغرق الزمان كله-؛ ونظرة الحاضر واقعة فى الزمان كله؛ فإن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جميع الأشياء الموجودة فى أى زمان تعد –بالتالى - موضوعات حاضرة فيه، ومن ثم فهو يعلمها بالرؤية؛ ومنها ما هو بقوة الله، أو الخليقة لكنه ليس موجـــودًا، ولـــم يوجد ولن يوجد؛ وهذه جميعها لا يقال بأن الله يعلمها بعلم الرؤيـــة، ولكـــن بعلـــم "**الإدراك البسيط**"؛ وذلك لأن ما يُرى عندنا بصورة ما، يكون له صـــورة أخـــرى مختلفة ومتميزة عند الله. (١١٦)

وبناءً على ما تقدم يمكن القول بأن الأشياء التى ليست موجودة بالفعل لهـــا – من حيث هى بالقوة – حقيقة ووجود ما؛ لأن كونها بالقوة حق، ومن ثم فهى معلومة لله، كما أن الأشياء التى ليس لها وجود، ولن توجد يعلمها الله أيضًا؛ بالضبط كمـــا يعرف الصانع الشئ المصنوع قبل أن يتمم صناعته.(١١٧)

ولكننا هنا نجد أنفسنا أمام تساؤل مهم وهو هل الله - بناء على مـــا تقـــدم – يعرف اللامتناهيات؟ أو بمعنى آخر هل الله يعلم المجهول من حيث هو غير متناه؟

وهنا يجيب القديس توما الإكويني بقوله: "إنه لما كان الله يعلم لا الموجـــودات بالفعل فقط، بل الموجودات بالقوة أيضًا سواء أكانت موجودة بقوته، أو بقوة الخليقة -كما سبق أن ذكرنا-، وكان من الجائز أن تكون هذه الموجـــودات بـــالقوة غيـــر متناهية؛ فإنه يجب – بالضرورة – أن يقال بأن الله يعلم اللامتناهيات؛ ولئن كان علم الرؤية الذى يتعلق بالأشياء الموجودة بالفعل، أو التـــى ســـتوجد لا يتعلـــق بغيـــر المتناهيات عند البعض؛ إلا أننا إذا دققنا النظر فى ذلك؛ وجب علينا بالضرورة أن نقول بأن الله يعلم اللامتناهيات بعلم الرؤية أيـــضًا؛ وذلـــك لأنـــه يعلـــم الأفكـــار والانفعالات القلبية التى من شأنها أن تكون غير متناهية؛ وذلـــك لأنـــه إذا كانـــت الصورة الحسية، أى (المتعلقة بالحس) إنما تعتمد على شبه لفرد واحد فقط؛ بحيـــث إنها لا يمكن أن تمتد لمعرفة فرد آخر؛ فإن الصورة العقلية أى(المتعلقة بالعقل) تمتد لتشمل معرفة الأفراد من جهة حقيقة النوع المشتركة بينهم، أو بالأحرى بين أفـــراد غير متناهية؛ وبالتالى فإنه يمكن لعقلنا أن يعرف – على نحو ما وبصورة الإنسان المعقولة - أفردًا غير متناهين أيضًا، لكن لا من حيث يتمايزون فيما بينهم، ولكـــن من حيث يشتركون فى حقيقة النوع؛ وذلك نتيجة أن صورة عقلنا المعقولة لا تشبه الناس من جهة المبادئ الشخصية؛ ولكن من جهة مبادئ النوع فقط، أمـــا الـــذات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإلهية؛ فهى شبه كاف لجميع الأشياء الكائنة والممكنة -لا من جهة المبادئ المشتركة فقط كما هو الحال فى الذات البشرية-؛ ولكن من جهة المبادئ الخاصة بكل فرد على حدة؛ فيلزم إذًا أن علم الله يعم غير المتناهيات حتى من حيث هى متمايزة فيما بينها" [١١٨]

ولعل هذا الرأى عند القديس توما الإكويني ينقلنا – بشكل مباشر – إلى تساؤل مهم: هل الله يعلم الحوادث المستقبلة؟ أو بمعنى آخر هل يمتد علم الله ليشمل علمه بأحداث المستقبل؟ أم يقتصر علمه على الماضى والحاضر فقط؟

وهنا يؤكد القديس توما الإكويني أن علم الله يعد علمًا واحدًا لا حاضر فيه ولا مستقبل؛ فهو يعرف الأشياء العرضية التى ستقع فى المستقبل؛ لأنه يرى كل شىءفى الزمان كأنه واقع فى الوقت الحاضر؛ وذلك لأنه هو نفسه خارج عن حدود الزمان؛ وبالتالى فإن علمه يكون غير مقترن بزمان[١١٩]؛ ويستخدم القديس توما الإكويني صورة رجل يقف على قمة برج عال، يراقب موكبًا يسير أسفل البرج، ويمكن لهذا الرجل أن يرى كل الموكب، ولكنه لا يمثل أى جزء منه، وبالمثل فالله موجود خارج التاريخ، ولكنه يرى التاريخ كله؛ فمع الله لا يوجد ماض ولا حاضر ولا مستقبل[١٢٠]؛ فهو يعلم الماضى والحاضر والمستقبل؛ وذلك خلافًا للإنسان الذى يعرف الحاضر معرفة غير كاملة، ويعرف الماضى معرفة أقل، ولا يعرف المستقبل على الإطلاق؛ فهو يفحص البحر، وأعماق القلب، ويحيط بكل أسرارهما؛ لأن العليم يعلم كل علم، ويحيط إحاطة تامة بالأزمنة؛ فهو يحيط بالماضى، ويدرك الحاضر، ويخبر بالمستقبل، ويكشف حتى أخفى الآثار لا تغيب عنه خاطرة، ولا يخفى عليه كلام؛ فعلمه مستقل لا يتوقف على المخلوقات، ولا على أعمالها؛ لأن الله يعلم منذ الأزل كل ما سيحدث[١٢١]، وهو فى هذا يقول: "إذا كان الله يعلم جميع الأشياء لا الموجودة بالفعل فقط ولكن الموجودة بالقوة أيضًا – سواء بقوته أو بقوة الخليقة – كما سبق أن بينا، وكانت هذه تشكل ما هو حادث مستقبل وغير متحقق فى الآن الحالية؛ فإنه –بالتالى– يلزم أن يعرف الله الحوادث المستقبلية"[١٢٢]، ويقول أيضًا: "إنه يمكن أن يعرف الحادث على ضربين: **أحدهما** –فى نفسه – بحسب كونه موجودًا بالفعل، وهذا لا خلاف عليه؛ لأنه لا شئ يُعد مستقبلاًلا حاضرًا؛ بحيث إنه يكون موضوعًا لمعرفة يقينية لا تشوبها أى خطأ لحاسة النظر؛ فمثلاً عندما أرى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شخصا جالسًا؛ فهذا أمر لا خطأ فيه.**والآخر**فى علته –وهنا يُعد الحادث مستقبلاً؛ وذلك لأن العلة الحادثة تتعلق بالمتقابلات؛ وبالتالى فالحادث هنا لا يكون متعلقًا بمعرفة حاضرة، ولكن مستقبلية؛ وذلك لأن المعلول لا يعرف – من حيث علته - إلا معرفة حدسية لا يقينية؛ والله يعرف جميع الحوادث لا بحسب وجودها فى نفسها فقط، ولكن فى علتها أيضًا؛ وهى وإن كانت تخرج إلى الفعل تدريجيًا إلا أن الله لا يعرفها تدريجيًا بحسب ما هى عليه فى وجودها أعنى فى (صورتها الحالية)، كما نعرفها نحن البتة، بل يعرفها كلها معًا-كما سبق أن بينا – وذلك لأن معرفته مرتبطة بالسرمدية كوجوده أيضًا؛ ومن المعروف أن السرمدية – بطبيعتها – تحيط بالزمان كله؛ وبالتالى فإن جميع ما فى الزمان حاضر لله منذ الأزل - لا من حيث إن حقائق الأشياء حاضرة عنده فقط - ولكن لوقوع نظره منذ الأزل على جميع الأشياء بحسب وجودها الحاضر".[١٢٣]

ويربط القديس توما الإكويني بين هذه الفكرة، وبين فكرة أن الله يعد العلة الفاعلة للأشياء؛ فيقول:- "إن علم الله واحد لا حاضر فيه ولا مستقبل؛ وذلك لأنه لما كان الله هو العلة الفاعلة الأولى؛ فلا بد أن يكون لمفعولاته وجود سابق فى علمه؛ فالله يعقل ذاته بذاته لا بقوة مغايرة، أو متمايزة عن ذاته؛ وذلك لأنه فعل محضPure-act ؛ ولا تشوبه أى قوة؛ وبالتالى؛ فالعقل والمعقول يمثلان فيه شيئًا واحدًا، كما أن تعقله يمثل عين ماهيته وعين وجوده؛ وبالتالى فهو يعرف غيره من ذاته"[١٢٤]؛وهذا يعنى أن الله يعلم كل الحوادث والأشياء،أو بالأحرى أنها كانت جميعها فى ذهنه منذ الأزل، سواء كانت نسبة بعضها إلى بعض نسبة التتابع، أو نسبة العلة إلى المعلول"[١٢٥].

ولعل القديس توما الإكويني متأثرًا هنا أيضًا بما جاء على لسان القديس يعقوب الرسول:"معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله".[١٢٦]

خامسًا: فيما يتعلق بطبيعة علم الله، بمعنى هل العلم الإلهى علم ثابت أم متغير؟!

وهنا يؤكد القديس توما الإكويني أن علم الله غير متغير بوجه من الوجوه، ما دام جوهره غير متغير بوجه من الوجوه؛ وإذا قيل بأن علم الله يعد علمًا متغيرًا؛ لأن العلم يقال بالإضافة إلى المعلوم، والأشياء المتضمنة إضافة إلى الخليقة تتغير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بتغير المخلوقات؛ بحيث يكون علم الله –وفقًا لذلك -علمًا متغيرًا بتغير المخلوقات؛ فإنه يمكن الرد على ذلك؛ بأنه إذا كان علم الله يتضمن إضافة إلى المخلوقات بحسب وجودها فى الله؛ - لأن كل شئ إنما يكون معقولاً بحسب وجوده فى العاقل- فإن الأشياء المخلوقة تكون موجودة فى الله إذًا على نحو غير متغير، كما أنه إذا قيل بأن كل ما فى قدرة الله أن يفعله؛ يكون في قدرته أن يعلمه؛ والله فى قدرته أن يفعل أكثر مما يفعل؛ فإنه –بالتالى– يعلم بقدرته أكثر مما يعلم؛وبالتالى يكون علم الله متغيرًا، بحسب الزيادة والنقصان!!؛ فإن الرد على ذلك يكون بأنه ليس من الملزم، أو بالأحرى من الضرورى أن يكون علمه بإمكان وجود ما ليس موجودًا، أو انعدام ما هو موجود أن يكون علمه متغيرًا؛ ولكنه يعرف تغير الأشياء؛ وبيان ذلك عنده: أنه لو كان شئ ما لم يكن الله يعلمه ثم علمه؛ لكان علمه متغيرًا، ولكن هذا غير جائز ولا متحقق بل مستحيل على الله؛ لأن كل ما يوجد أو يمكن أن يوجد فى زمان؛ فإن الله يعلمه فى أزله؛ بحيث يمكن القول بأن أى شئ يكون موجودًا فى زمان؛ يكون معلومًا - بالتالى ومنذ الأزل – لله؛ ومن هنا فإنه لا يجب التسليم بأن الله يقدر أن يعلم أكثر مما يعلم؛ لأن هذه القضية تفيد بأنه لم يعلم ثم علم؛ وهذا محال على الله، وأيضًا إذا قيل بأن الله قد علم بأن المسيح سيولد -مثلا - والآن ليس يعلم ذلك؛ لأن المسيح لن يولد الآن؛ وبالتالى فهو لا يعلم كل ما علمه بحيث يكون علمه متغيرا!!!؛فإن الرد على ذلك يكون بالقول بأنه كما أن الله يعلم أن شيئًا واحدًا بعينه يكون تارة موجودًا، وتارة أخرى غير موجود؛ وذلك دون حدوث أى تغير فى علمه؛ كذلك فهو يعلم أن قضية ما تكون صادقة تارة، وكاذبة تارة أخرى، دون حدوث أى تغير فى علمه، وإنما يلزم أن يكون علم الله متغيرًا إذا كان يعلم القضايا بحسب طريقة التأليف والتقسيم كما يعرض في عقلنا؛ مما يجعل معرفتنا تتغير إما بالصدق، أو الكذب؛ وذلك بأن يتغير شئ ويبقى اعتقادنا الأول فيه كما هو، أو بالأحرى يظل على صورته الأولى دون أن يتغير، كما إذا اعتقدنا – مثلاً – أن سقراط جالس ثم اعتقدنا أنه غير جالس وكلاهما مستحيل أيضا فى حق الله .[١٢٧]، ولعل القديس توما الإكويني متأثرًا هنا بما جاء فى رسالة القديس يعقوب" ليس عند الله تحول ولا ظل دوران" . [١٢٨]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سادسًا : ما طبيعة علم الله بالأشياء؟؛بمعنى هل علم الله يعد علمًا عمليًا أم أنه يمثل علمًا نظريًا؟

وهنا يوضح القديس توما الإكويني أنه إذا كان من المعلوم أن العلم النظرى أشرف من العلم العملى– كما قال بذلك الفيلسوف اليونانى أرسطو – فإنه يجب أن يكون علم الله بالأشياء علمًا نظريًا؛ لأن كل ما هو أشرف يجب وصف الله به، واذا كان من المعلوم أيضًا أن العلم النظرى يُحصل بالتجريد عن الأشياء؛ مما لا يتلاءم مع طبيعة الذات الإلهية؛ وبالتالى فلا يكون علم الله نظريًا؛فإنه ولأجل حل هذه الإشكالية؛ فقد أكد القديس توما الإكويني أنه يوجد من العلم ما هو نظرى، وما هو عملى، كما أن منه ما هو نظرى على وجه وعملى على وجه آخر، ولمزيد من التوضيح فإنه يقول:"إنه يجب أن نعلم- فى البداية – أن العلم يقال له نظريًا من ثلاثة وجوه: -

أولاً: من جهة الأشياء المعلومة؛ كعلم الإنسان بالأمور الطبيعية والإلهية،

ثانيًا: من جهة طريقة العلم؛ كما إذا لا حظ البناءّ – مثلاً- البيت من خلال تحديده وتقسيمه وملاحظة أوصافه بشكل عام؛ فإن هذا هو ملاحظة الموجودات بطريقة نظرية، وليس من حيث هى الموجودات بطريقة عملية؛ لأن الشئ يكون موجودًا تخصيص، أو ارتباط، أو بالأحرى اقتران الصورة بالمادة، وليس بتحليله إلى المبادئ الكلية الصورية؛

ثالثا: من جهة الغاية؛ لأن العقل العملى يختلف - فى غايته – عن العقل النظرى؛ فغاية العقل العملى العمل، وغاية العقل النظرى ملاحقة الحق؛ مثال ذلك: - أنه إذا لاحظ بنّاء كيفية الشروع فى بناء بيت - غير قاصد غاية العمل، بل المعرفة النظرية، أو الافتراضية فقط- كان ذلك بمثابة ملاحظة نظرية، لكنها فى حق شئ موجود بالفعل؛ وبناء على ذلك يمكن القول بأن العلم - من جهة الشئ المعلوم- يكون علمًا نظريًا فقط؛ أما العلم الذى هو نظرى- من جهة الطريقة – فإنه يكون نظريًا فى وجه وعمليًا فى وجه أخر؛ أما إذا كانت غايته العمل فقط؛ فإنه عندئذ يكون عمليًا صرفًا أو بالأحرى يكون علمًا عمليًا خالصًا أو مطلقًا".[١٢٩]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبناءً على ما تقدم فإنه يجب القول بأن الله يعلم ذاته علمًا نظريًا؛ لأن كل ما نعرفه في الأشياء – بطريقة بشرية تعتمد على الحد والقسمة – يعرفه الله معرفة أكمل بكثير من معرفتنا به، أما ما فى قدرته أن يفعله – ولكنه ليس يفعله فى زمان – فليس له به علم عملى من جهة الغاية؛ وذلك لأنه يعلم بالعلم العملى - أى ماله جهة الغاية – ما يفعله فى زمان، أما الشرور؛ فإنها – وإن لم تكن منسوبة له – فإنها معلومة له بالعلم العملى كالخيرات – سواء بسواء – من حيث كونه يسمح بها أو يدفعها أو يقصد بها غاية؛ مثلما أن الدواء يكون معلومًا للطبيب بالعلم العملى من حيث كونه يعالج به مرضاه. [١٣٠]وسيأتى الحديث عن هذه النقطة بالتفصيل في النقطة التالية من البحث.

سابعًا: فيما يتعلق بمسألة علم اللّه بالشرور ومدى إدراكه لها أو جهله بها؛ بمعنى هل اللّه يعلم بالشرور الحادثة في الكون أم أنه لا يعلم بها؟

وهنا يؤكد القديس توما الإكويني أن الله يعلم الشر؛ لأن معرفة أى شيء مما يتصف بالخير يتضمن بالتالى معرفة ضده، وهو الشر[١٣١] وهو فى هذا يقول: "إنه لما كان كل من يعرف شيئًا معرفة كاملة، يجب أن يعرف كل ما يمكن أن يعرض له؛ ومن المعروف أن من الخيرات ما يمكن أن يعرض له من الفساد بالشرور؛ فإنه - وبناءً على ذلك - لا يعرف الله الخيرات معرفة كاملة ما لم يعرف الشرور معرفة كاملة أيضًا، غير أنه لما كان كل شئ يعرف بحسب حالته من الوجود؛ ولما كان وجود الشر هو انعدام لوجود الخير؛ كانت معرفة الله للخيرات تتضمن – بالتالى– معرفته بالشرور؛ كما يعرف الظلام بالنور؛ وهذا يعنى أن الله لا يعرف الشر من خلال العدم الموجود فيه، ولكن عن طريق الخير المقابل له؛ ومن ثم فإن علم الله بالشر ليس علة للشر؛ بل علة للخير الذى به يُعرف الشر"[١٣٢]، كما يبين القديس توما الإكويني أن الشر وإن لم يكن مقابلاً للذات الإلهية التي لا يتطرق إليها أى فساد بالشر؛فإنه يكون مقابلاً لمخلوقات الله التى يعرفها بذاته؛ والتى بمجرد معرفته لها يكون عارفًا –بالتالى–بالشرور المقابلة لها، أو بمعنى أدق إن معرفته لها تتضمن – بالضرورة – معرفته بالشرور المواجهة لها .[١٣٣]

ويقول أيضًا مؤكدًا على المعنى نفسه "إن الله يعرف الشرور؛ وذلك لأنه إذا عرف خيرًا ما؛ فلا بد أن يعرف الشر الذى يقابله؛ بالضبط كما يعرف الظلام من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلال النور"[١٣٤] ؛وبالتالى فإنه لما كان الله يعرف كل الخيرات؛ فإنه بالتالى يعــرف كل الشرور المقابلة لها ".[١٣٥]، وهذا يعنى أن الله يعلم بالشرور الحادثة في الكــون، كما يعلم بالخيرات المقابلة لها سواء بسواء؛ لأن الشر هــو الوجــه المــضاد، أو بالأحرى المقابل للخير؛ وبالتالى يكون علم الله بالخير متضمناً – في ذاته – علمــه بالشر المقابل له.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة

يعد القديس توما الإكويني رائدًا من رواد الحركة الفلسفية فى العصر الوسيط عامة وفى القرن الثالث عشر خاصة؛ إذ استطاع – من خلال كتاباته وآراءه – أن يقدم نمطًا فكريًا فريدًا ومتميزاً للفكر المسيحى فى العصور الوسطى كان ولا يزال هو النمط الرسمى السائد والمسيطر على الكنيسة الكاثوليكية حتى يومنا هذا؛ فهو المعلم الملائكى، أو الأستاذ الإنجيلى، وهو المعلم الشارح، وهو الصوت المعلى للعقل، الشارح للنص، المفسر للرأى، حامل لواء العبقرية الإيطالية الميالة إلى الابداع فى حل القضايا الدينية والعقائد اللاهوتية بما لا يتنافى مع القواعد العقلية والبراهين المنطقية. ولقد ازدهرت التوماوية فى العصر الحديث؛ فظهر ما يسمى بالدعوة للتوماوية، كما نادى البابا ليون فى القرن التاسع عشر بتجديد الفلسفة بروح توماوية، وأنشأ ما يعرف بأكاديمية القديس توما الإكويني فى روما، وعندها ظهر ما يسمى "بالتوماوية الجديدة".

ويمكن إجمال أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذه الدراسة فى النقاط التالية:

١- يتميز القديس توما الإكويني بشخصية تعبق بعبق العقلانية، وتناصر كل معرفة عقلية، وتساند كل نزعة تجريبية، وتفهم الدين بمنطق العقلانية .

٢- كشفت الدراسة عن أن القديس توما الإكوينى- فى معالجته لمشكلة العلم الإلهى كان بمثابة مسيحى يتفلسف، وليس فيلسوفًا مسيحيًا؛ وهنا تبدو براعته الفكرية ونقاوته الذهنية؛ فهو على الرغم من انتمائه لرهبنة الدومنيكان - ذات الطابع العقلانى المتأثر بشكل مباشر بالفيلسوف اليونانى أرسطو -إلا أنه كان لديه القدرة الفائقة والدقة المتناهية لأجل استبعاد كل ما يتنافى مع معطيات الإيمان وتعاليم الكنيسة، ووصايا الرب؛ فكان شديد الحرص على ديانته، شديد الغيرة على عقيدته؛ وبالتالى فكان يغلب قواعد اللاهوت الدينى ومبادئ المسيحية على مذهبه العقلانى ونظريته الفلسفية، ومن ثم يمكن القول بأن النزعة الدينية فاقت عنده النزعة العقلية فى معالجته لهذه القضية.

٣- استطاع القديس توما الإكويني أن يقدم لاهوتًا طبيعيًا غاية فى العمق؛ فالله عنده لم يكن موضوعًا للحدس، مؤكدًا أننا إذا دققنا النظر فى هذا العالم، استطعنا الوصول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بشكل مباشر إلى أن الله موجود. غير أنه أكد أن معرفتنا بالجوهر الإلهى لا تتحقق إلا فى أضيق نطاق، ومن هنا كانت معارضته الشديدة ورفضه التام لما يعرف بالبرهان الوجودى،أو ما يطلق عليه الحجة الأنطولوجية التى قال بها القديس أنسلم، مؤكدا أن الإنسان لا يستطيع أن يعلم - من جوهر الله- العلم الذى يكفيه لاستنتاج وجود الله من خلال معرفة جوهره.

٤- استطاع القديس توما الإكويني أن يقدم نسقًا فكريًا،أو بالأحرى أن ينسج نسجًا فكريًا راقيًا ومتميزًا، بل وفريدًا من نوعه إلى حد كبير؛ فهو لم يتخل عن العقل لكنه لم يخالف عقيدته، ولم يتخل عن متطلبات ديانته؛ فإذا دققنا النظر فى عباراته الخاصة بمشكلة العلم الإلهى، لوجدنا أنها تتفق تمامًا مع صفات الله وتعاليم الكتاب المقدس، ولكن ببراهين عقلية، ومقدمات منطقية، وأساليب فلسفية، ومن ثم يمكن القول بأن القديس توما الإكويني أعطى للعقل دورًا كبيرًا فى تكوين المعرفة اللاهوتية.

٥- على الرغم من الأهمية الكبيرة التى حظى بها القديس توما الإكويني فى مذهبه الفلسفى عامة، وفى مجال اللاهوت خاصة، إلا أننا إذا دققنا النظر فى الأدلة التى قدمها للاستدلال على وجود الله، لوجدنا أنها تقوم على فكرة واحدة وهى الانتقال من المحسوس الى المعقول، أو بالأحرى أنها تعتمد على قانون العلية، أو السببية؛ بعيدًا عن التجرد النزيه والتأملية الفكرية التى نجدها عند غيره من الفلاسفة سواء فى العصر المدرسى، أو العصر الآبائى؛ فكانت أدلته أشبه بالمصادرات،أو بالأحرى بالنتائج المفروضة مقدمًا بطريقة حتمية فى إطار العقيدة المسيحية، وكنا ننتظر منه كقارئ لأفلاطون وأرسطو أن يقدم لنا أدلة جديدة تعتمد على أفكار فلسفية عميقة، وأنساق فكرية منظمة بعيدًا عن المصادرات والنتائج الحتمية، ولكنه لم يفعل. وكل ما فعله أنه تأثر بالسابقين عليه، وشرع فى سرد أدلته من هذا المنطلق دون أن تكون لديه أية نزعة تجديدية فى هذا المجال.

٦- تميز اللاهوت الإكوينى–إن صح التعبير –بنزعة انتقائية؛ فكان لديه القدرة على الجمع بين العديد من الآراء والاتجاهات والمذاهب المختلفة؛ وهذا ما بدت واضحًا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين ثنايا هذا البحث؛ إذ بدا تأثر القديس توما الإكويني واضحًا تمامًا بالعديد من السابقين عليه من أمثال أفلاطون وأرسطو من فلاسفة اليونان، وابن سينا وابن رشد، من فلاسفة الإسلام، والقديس ديونيسيوس والقديس ألبرت الكبير من فلاسفة المسيحية. وهذه دلالة واضحة على قدرة القديس توما الإكويني الفائقة وتميزه العقلى الشديد الذى مكنه من أن يجمع بين العديد من الاتجاهات المتعارضة فى مذهبه الفلسفى وصياغاته العقلية.

٧- استطاع القديس توما الإكويني أن يوفق بين العقل والنقل،أو بالأحرى بين الدين والفلسفة إلى حد كبير، مؤكدًا أنهما لا يتعارضان، ولكنهما يتكاملان؛ فإذا كانت ثمة حقائق فلسفية متاحة للعقل البشرى، وثمة حقائق إيمانية تجاوز قدرته إلا أنهما لا ينفصلان فى النهاية؛ لأن كليهما يخرج من مشكاة واحدة ألا وهى الحقيقة المطلقة، وهى الله؛ فالوحى منزل من عند الله، والعقل هبة من الله، ومن ثم فلا تعارض بينهما؛ فالوحى إذًا لا يعارض العقل وإنما يكمله،أو بالأحرى إن الوحى هو العقل فى حالة الجذب؛ ولعل هذه الاتحادية، أو بالأحرى التكاملية تعد بمثابة توليفة توماوية -إن صح التعبير-تجمع بين العقل وتوجهاته، والإيمان وإلزاماته، ومن ثم فلم يكن الانفصال بين العقل والنقل فى لاهوت القديس توما الإكويني إلا انفصالا شكليًا،أو بالأحرى نظريًا، وليس انفصالاً جوهريًا،أو عمليًا على الإطلاق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هوامش البحث

(1) ونى إيلى ألف: موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب الجزء الأول (مادة القديس توما الإكوينى) قدم له الرئيس شارل الحلو، مراجعة د جورج نخل، دار الكتب العلمية، ط١ ،بيروت ١٩٩٢م، ص ٣٣٩ .

(2) أدوار جونو: الفلسفة الوسيطية: ترجمة د علي زيعور، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط٢ ،بيروت ١٩٨٢م، ص ١٢٨ .

(3) G.R Evans: Philosophy and théology in the Middle ages, Routledge, first Published, New York, 1993, p.109.

*تقع أكوينو على الحدود الشمالية لمملكة صقلية القديمة بإيطاليا. (انظر: د عبد المنعم الحفنى: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، (مادة القديس توما الإكوينى)، مكتبة مدبولى، ط٢ القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٧٦م) .

(4) Williams sahakian: history of philosophy, revision of hasper, publishers new york, 1968, p.104.

(5) Cardinal Mercier : A manual of modern scholastic philosophy, keganpaul, Trench, Trubner, Co., LTD. Third edition, London, 1926, p.405.

(6) ترانثىوماركوسى : مقالات فى فلسفة العصور الوسطى، ترجمة د. ماهر عبد القادر محمد ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ١٩٨٦م، ص ٧٥.

* ولد حوالى عام ٤٨٠م في روما، وهو ينتمى إلى أسرة نبيلة، ولما بلغ العشرين من عمره رفض حياة الطرف وألوان اللذائذ ورحل إلى روما، واعتزل الحياة في كهف أقام فيه ثلاثة أعوام؛ فأسس القواعد البندكتيةالتى استهدفت زهرًا شديدًا .(انظر: برتراند راسل :تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثانى الفلسفة الكاثوليكية، ترجمة د زكى نجيب محمود ، مراجعة د أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ١١٨).

(7) برتراند راسل : حكمة الغرب ، جـ ٢ ، ترجمة د٠/ فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣م، ص ٢٦٩.

(8) اتيين جلسون: نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ترجمة وتعليق د حسن حنفى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢١٠ .

**جماعة من رهبان الكاثوليك، أسسها القديس دومنيك عام ١٢١٦م، اسمها الرسمى. جماعة الوعاظ ، وبدأت بالوعظ فى فرنسا، ثم انتشرت حتى أصبح لها ثمانية فروع فى مختلف البلاد؛ وتتميز هذه الجماعة بطابعها الديمقراطى دون سائر الجماعات الأخرى، كما تتسم حياة الراهب الدومينكانى بالعكوف على الدراسة والصلاة والوعظ (انظر: الموسوعة العربية الميسرة : إشراف د. محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥م ، مادة جماعة الدومنيكان، ص ٨٢٢).

(9) اتيين جلسون: المرجع السابق، ص ٢١٠.

(10) Frederick Copleston: A History of Philosophy, Vol 3, Search Press, Limited, first Published, London, 1976,p.328.

(11)A. R, Lacy: ADictionary of Philosophy,(saint aquinas) Routledge, Keganpaul, first published, London, 1967,p.10.

(12) د٠ مراد وهبه : المعجم الفلسفي، (مادة التوماوية) ، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٢٢٦.

(13) د. جورج طرابيشى: معجم الفلاسفة مادة توما الإكوينى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢ ، بيروت ١٩٩٧م، ص ٢٤٤ .

(14) آلاندى ليبرا: فلسفة العصر الوسيط، ترجمة مصطفى ماهر، دار شرقيات للنشر والطبع، ط١ ،القاهرة ١٩٩٩م ، ص ٤٦٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(15)Samuel Enoch Stumpf : Philosophy (History and problems), McGraw-will book company , trid Edition, New York, without Date, p.175.

*تسمى أحيانًا – بحسب الترجمات المختلفة لها- الخلاصة ضد الخوارج، وأحيانًا الخلاصة ضد الأمم، وأحيانًا الخلاصة ضد الكفار وأحيانًا خلاصة الرد على الأمم، وأحيانًا الردود على الخوارج (الباحثة).

(16) إدوار جونو : المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(17) جوناثان هيل: تاريخ الفكر المسيحى، ترجمة سليم اسكندر ومايكل رأفت، مراجعة محمد حسن غنيم ، مكتبة دار الحكمة، ط١ ،القاهرة، ٢٠١٢م ، ص ١٦٢ .

(18)المرجع نفسه، ص ١٦٢ .

(19)د٠ جورج طرابيشي : المرجع السابق، مادة توما الإكويني ، ص ٢٤٤

(20) اميل برهييه: تاريخ الفلسفة الجزء الثالث، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة: جورج طرابيشى، دار الطليعة، ط١ ،بيروت ١٩٨٨م ، ص ١٧٢ ، ١٧٣.

(21) جونا ثان هيل: المرجع السابق، ص ١٦١ .

(22) د زينب الخضيرى: أثر ابن رشد على فلاسفة العصور الوسطى، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٣١

(23)H. O. Taylor : The medieval mind vol2, harvard university press, Forth edition, New york, 1962, p.481.

(24) اميل برهييه: المرجع السابق ، ص ١٧٣.

(25) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة المجلد الثانى القسم الثانى من أوغسطين إلى دانز سكوت ترجمة، د. إمام عبد الفتاح إمام وإسحاق عبيد ، مراجعة وتقديم د. إمام عبد الفتاح إمام المركز القومى للترجمة، ط١ ، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٧٦ .

(26) المرجع نفسه، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(27) اميل برهييه: المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(28) جون لويس : مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك ، دار الحقيقة للطباعة والنشر، / ط٤، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٦٨.

(29) كوبلستون: تاريخ الفلسفة المجلد الثانى القسم الثانى من أوغسطين إلى دانز سكوت ، ص ٨١ .

(30) اتيين جلسون: روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ترجمة وتعليق د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولى، ط٣ القاهرة ١٩٩٦م ، ص ١٣٢.

(31) ترانثى وماركوسى : مقالات فى فلسفة العصور الوسطى، ص ٩٧ .

(32) H. O. Taylor : The medieval mind vol2, p.481

(33) David Knowles : The evolution of medieval thought, second edition, New York , 1988, p.234, 235.

(34) Etienne Gilson: History of chrisitian philosophy in the middle ages, New York, 1955, p. 368.

(35) Ibid, p.238.

*ولد القديس ألبرت الكبير فى ألمانيا عام ١٢٠٦م، ويعد استاذا مباشرا للقديس توما الإكوينى، أنضم إلى رهبنة الدومنيكان، وتوفى عام ١٢٨٠م، ولم يمض على وفاته ربع قرن حتى لقب بالأكبر، وهو المفكر الوحيد فى القرون الوسطى الذى حظى بهذا اللقب أشهر أعماله شروح على مؤلفات أرسطو ورسالة فى وحدة العقل ردا على ابن رشد (انظر: د٠ جورج قنواتى: مادة ألبير الكبير معجم اعلام الفكر الإنسانى الجزء الأول إعداد: نخبة من الاساتذة المصريين تصدير د. إبراهيم مدكور الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٦٦١ ، ٦٦٢).

(36) FrederichCopleston : A History of Philosophy, Vol 3, p.296.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* يهودي رومانى تربى في اورشليم ، وكان في البداية شديد العداء للمسيحية، ثم فجأة تحول وأخذ يبشر باسم المسيح وتوفى عام ٦٧م .(انظر: د٠ عبد المنعم الحفنى ، الموسوعة الفلسفية، (مادة بولس الرسول) ، دار ابن زيدون، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ..

(37) فؤاد سواف تاتا ركيفتش: فلسفة العصور الوسطى، ترجمة د٠ محمد عثمان مكي العكيل: دار كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة، ٢٠١٢ ، ص ٢١٧ .

(38)د عبد الرحمن بدوى: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، دار القلم، ط٣ ، بيروت، ١٩٧٩ ، ص ١٣٧

(39) المرجع نفسه، ص ١٣٧.

(40) Justol Gonzalez : The Story of Christianity, Voll, "The Early Church to the Down of The Reformation", Harper & row Publishers, copright, first Published, New York, 1984, p.318, See also, Etienne Gilson: History of chrisitian philosophy, in the middle ages, p. 370 .

(41) القديس : توما الإكويني : الخلاصة اللاهوتية، القسم الأول مسألة ٨، ترجمة من اللاتينية إلى العربية الخورى بولس عواد ، المطبعة الأميرية، بيروت، ١٨٨٧م، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(42)أميرة حلمى مطر: الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للنشر والتوزيع، ط١ ، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٢٧٥ .

(43) Albert B. Hakim : Historical Introduction to Philosophy, Macmillan Publishing Company, without Date,p.170.

(44) برتراند راسل : حكمة الغرب ، جـ ٢ ، ترجمة د٠/ فؤاد زكريا ، ص ٢٧٤ .

(45)القديس توما الإكويني : المصدر السابق، ص ١٧٩ .

(46)اميل برهييه: تاريخ الفلسفة ، جـ٣ ، ص ١٧٩. .

(47) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط ، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥ ، ص ١٧٥.

(48) د عبد الرحمن بدوى: فلسفة العصور الوسطى، ص ١٣٧ .

(49) اميل برهية : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(50) David Knowles : The evolution of medieval thought, p.234, 238.

(51) برتراند راسل : حكمة الغرب ، جـ ٢ ، ترجمة د٠/ فؤاد زكريا ، ص ٢٧٤ .

(52) اميل برهييه: المرجع السابق، ص ١٨٥ .

*تنسب الفلسفة الرشدية إلى ابن رشد الفيلسوف الأندلسى الذى ولد عام ١١٢٣م ، وترك لنا كتبًا كثيرة فى مجال الفقه والطب والفلسفة، واشتهر شهرة كبيرة بشروحه على كتب أرسطو حتى عرف باسم الشارح، وتوفى ابن رشد عام ١١٩٨م ، ويعد آخر فلاسفة العرب .(انظر: د٠ عاطف العراقى : نحو معجم للفلسفة العربية ، "مصطلحات وشخصيات، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الثانية ، القاهرة، ٢٠١١م ، ص ١٢٧ .

(53)اميل برهييه: المرجع السابق، ص ١٨٥ .

(54) يوسف كرم : المرجع السابق، ص ١٧٦ .

(55)بول تيلين : تاريخ الفكر المسيحى (من جذوره الهلينسية واليهودية حتى الوجودية)، ج١ ، ترجمة د٠ وهبة طلعت أبو العلا، الناشر ، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٢ ، ص ٢٢٨ .

(56) Albert B. Hakim : Historical Introduction to Philosophy, p.170

(57) اميل برهييه: تاريخ الفلسفة ، جـ٣ ، ص ١٨٠ ..

(58) المرجع نفسه، ص ١٨٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

*فيلسوف ولاهوتى ولد فى ايطاليا عام ١١٠٩ م ، وتوفى عام ١١٣٣م ، اشهر مؤلفاته المناظرة الوجودية، والتى استدل فيها على وجود الله بالدليل الأنطولوجى
"See, Simon black burn : The Oxford Dictionary of Philosophy, (Saint Anselm), Second Edition Revised, University Press. Inc, New York, 2008. P.17"
(59) د. عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٣٠ .
(60) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط ، ص ١٧٥.
(61)Etienne Gilson: History of Chrisitian Philosophy in the Middle Ages, p. 369.
(62) د عبد الرحمن بدوى: فلسفة العصور الوسطى، ص ١٤٢ .
(63) اميل برهييه: تاريخ الفلسفة ، جـ٣ ، ص ١٨٠ .
(64) المرجع نفسه، ص ١٨٠ .
*لاهوتى سورى ، وكان حجة في أمور الدين نشأ في بلاد الأمويين بدمشق، ثم التحق بدير في فلسطين، وبذل جهدًا كبيرًا أثناء اقامته بالدير لأجل الدفاع عن العقيدة، التزم بالأناديل في شروحه ، ويعد آخر فلاسفة الآباء المسحيين . (انظر: د٠ محمد فتحى عبد الله : مترجمو وشراح أرسطو عبر العصور، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الثانية ، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م ، ص ٦٦ ، ٦٧).
(65) فؤاد سواف تاتا ركيفتش : فلسفة العصور الوسطى، ترجمة د٠ محمد عثمان مكىالعكيل، ص ٢١٧
(66) د٠ عبد الرحمن بدوى: المرجع السابق، ص ١٥٢ .
(67) يوسف كرم : المرجع السابق ، ص ١٧٥.
(68) سفر الحكمة : (١١ : ٢١).
(69) السفر نفسه: (١٦ : ٤) .
(70) د عبد الرحمن بدوى: المرجع السابق، ص ١٥٤ .
(71) المرجع نفسه، ص ١٥٤ .
(72)برتراند راسل :تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثانى الفلسفة الكاثوليكية ، ص ٢٣٩ .
(73) جوناتان هيل : تاريخ الفكر المسيحى، ترجمة سليم اسكندر ومايكل رأفت ، ص ١٦٥ .
(74)اتيين جلسون: روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ص ١٣٣ .
(75)ترانثى وماركوسى : مقالات فى فلسفة العصور الوسطى، ص ١٣٠ ، ١٣١ .
(76) المرجع نفسه، ١٣١ .
(77) د حربى عباس عطيتو ، د ماهر عبد القادر : اتجاهات التفكير الفلسفىفى العصور الوسطى ، دار أورينتأل، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٣٢٤ .
(78)برتراند راسل : المرجع السابق ، ص ٢٣٩.
(79) د٠عبد الرحمن بدوى: المرجع السابق، ص ١٥٠ .
(80) المرجع نفسه، ص ١٥٥ .
*تعنى لفظة التواطؤ بشكل عام توافق وانطباق كما يطلق اسم الجنس على كل نوع من أنواعه واسم النوع على كل فرد من افراده، والمقصود بتواطؤ الوجود تحديدا هو إطلاق لفظ الوجود على مسميات كثيرة (انظر د مراد وهبة، يوسف كرم، يوسف شلاله: المعجم الفلسفى، مادة (تواطؤ) ط٢، دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧١م، ص).
(81)آلاندى ليبرا: فلسفة العصر الوسيط، ترجمة مصطفى ماهر، ص ٤٦٠ .
(82) الراهب بنيامين المحرقى : دراسات في اللاهوت النظري، الجزء الأول، مراجعة وتقديم د٠ موريس تاوضروس ، ص ١٩٠ .
(83) المرجع السابق، ص ١٥٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(84)برتراند راسل : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .
(85) القديس توما الأكويني : مجموعة الردود على الخوارج، فلاسفة المسلمين، ترجمة نعمة الله أبى كرم ، دار ومكتبة بيبلون ، بيبلوس ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٠ .
(86) برتراند راسل : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
* ولد فى تاغسته من أعمال نوميديا والآن من أعمال الجزائر عام ٣٥٤م وطالع شيئا من التأليف فى الفلسفة، سافر إلى رومية ثم دعى إلى ميلان لتعلم البيان، اشتد به الميل إلى الترهبن بعد وفاة امه فعاد إلى تاغسته، ومكث بها ثلاث سنوات منعزلا عن الناس، ويروى عنه أنه كان زاهدا قنوعا يأمر أهله بالبساطة فى العيش والملبس، يأمر أهله بالإحسان إلى المساكين وكان مهذبا حسن السيرة، وتوفى عام ٤٣٠م، أشهر أعماله الاعترافات، مدينة الله، وذكر عنها أنها ترجمت إلى العديد من اللغات لتعميم فوائدها (انظر المعلم بطرس البستانى: دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، مادة القديس أوغسطين، المجلد الرابع ، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ١٨٨٠م ، ص٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤).
(87) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط ، ص ٤٢.
* لا نعلم عنه الكثير ولكن أرجح الآراء أنه أسقف ثورى تأثر بشدة بمذهب الأفلاطونية المحدثة وعاش ما بين آواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس، أمنّ على يد الرسول بولس، وكان أحد قضاة أريوس، واستشهد فى أيام الامبراطور دومتيانوس (انظر دائرة المعارف الكتابية، تحرير وليم وهبه بباوى، مادة القديس ديونيسيوس، المجلد الثالث، دار الجيل، ط ١ ، بيروت ١٩٩١م، ص٤٧٥).
(88) القس بى بورات ، تاريخ الروحانية المسيحية ، المجلد الثانى ، العصور الوسطى، ترجمة تكلس نسيم سلامة، مراجعة وتحرير محمد حسن غنيم ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ط١، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .
*العلم هو صورة الحقائق عند العقل والعلم بالنسبة للإنسان منه الضرورى بالفطرة كالغرائز التى يكتسبها بالطبيعة او الضمير الأخلاقى الذى يميز به الحلال والحرام، ومنه المكتسب كالذى يتعلمه من الخارج بالتعليم والاختبار، أما الإدراك فهو لا يحتاج إلى مكان جسمى، ولا إلى حجم ملموس، ولا إلى صورة جسمية، ولا إلى لون، ولا إلى أى شىء قط مما يختص بالجسم والمادة والله كائن روحانى عاقل، وهو مبدا ومصدر لكل عقل وإدراك، فهو ذات له معرفة تامة وكاملة لأنه كيف يكون الله كائنا كاملا وفى الوقت نفسه لا تكون له معرفة كاملة، أن الله يدرك بملء وجوده وجوهره فى أعماق ضميره، وهكذا يعرف نفسه، أما نحن فليس لنا إلا بعض المعرفة : (انظر الراهب بنيامين المحرقى : دراسات في اللاهوت النظري ،ص ١٨٨ ، ١٨٩).
(89) القديس توما الإكوينى: الخلاصة اللاهوتية، (المجلد الأول) ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
(90) المصدر نفسه، ص ١٧٩ .
(91) الراهبنيامين المحرقى : دراسات في اللاهوت النظري ، ص ١٨٨ ١٨٩.
(92) رسالة الرسول بولس إلى أهل روميه (١١ : ٣٣) .
(93) الراهب بنيامين المحرقى: المرجع السابق، ص ١٩٠ .
(94) القديس توما الإكويني : الخلاصة اللاهوتية، المجلد الأول (مسألة١٤) ، ص ١٨٠ .
(95) H. O. Taylor : The Medieval Mind vol2, p.483.
(96) القديس توما الإكويني : الخلاصة اللاهوتية، المجلد الأول (مسألة١٤) ، ص ١٨٩، ١٩٩.
(97) المصدر نفسه، ص ١٩٩ .
(98)اتيين جلسون: روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ص ٢١٩ .
(99)المصدر نفسه، ص ٢١٧ .
(100)برتراند راسل :تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثانى الفلسفة الكاثوليكية، ص ٢٤١ .
(101) اتيين جلسون: المرجع السابق، ص ٢٤٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(102) مزمور (٢ : ١٦)
(103) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط ، ص ١٨١ ..
(104) اتيين جلسون: المرجع السابق، ص ٢٤٨ .
(105) د عاطف العراقى، مذاهب فلاسفة المشرق، دار المعارف، ط٩ ، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٥٩ .
(106) المرجع نفسه، ص ٢٦٧.
(107) المرجع نفسه، ص ٢٦٢ .
(108) H. O. Taylor : The Medieval Mind vol2, p.483 .
(109) القديس توما الإكويني : الخلاصة اللاهوتية، ص ١٨٧ .
(110) المصدر نفسه، ص ١٨٧ .
(111) يوسف كرم : المرجع السابق، ص ١٨١ .
(112) المرجع نفسه، ص ١٩٢، ١٩٣ .
(113) القديس توما الإكويني : المصدر السابق، ص ١٨٧ .
(114) H. O. Taylor : op. cit., p.485,486.
(115) Ibid, p.484.
(116) القديس توما الإكويني : الخلاصة اللاهوتية، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .
(117) برتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثانى الفلسفة الكاثوليكية ، ص ٢٤١ .
(118) القديس توما الإكوينى: المصدر السابق، ص ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢ .
(119) برتراند راسل : المرجع السابق، ص٢٤١ .
(120) جوناتان هيل : تاريخ الفكر المسيحى، ترجمة سليم اسكندر ومايكل رأفت ، ص ١٦٧ .
(121) الراهب بنيامين المحرقى : دراسات فى اللاهوت النظرى، ص ١٨٩، ١٩٠
(122) القديس توما الأكوينى: الخلاصة اللاهوتية ، ص ٢٠٢ .
(123) المصدر نفسه، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
(124) Etienne Gilson: History of Christian Philosophy in the Middle Ages, p.371
(125) الراهب بنيامين المحرقى : المرجع السابق، ص١٩٠ .
(126) رسالة القديس يعقوب الرسول: (١٥ : ١٨).
(127) القديس توما الإكوينى: الخلاصة اللاهوتية ، ص ٢٠٨، ٢٠٩ ، ٢١٠ .
(128) رسالة القديس يعقوب الرسول: (١ : ١٧)
(129)القديس توما الإكويني : مجموعة الردود على الخوارج، فلاسفة المسلمين، ترجمة نعمة الله أبى كرم، ص ٣١١ .
(130) المصدر نفسه، ص ٣١١ .
(131) برتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثانى الفلسفة الكاثوليكية ، ص ٢٤٢ .
(132) القديس توما الأكوينى: الخلاصة اللاهوتية ، ص ١٩٧ .
(133) المصدر نفسه، ص ١٩٨ .
(134)H. O. Taylor : The Medieval Mind vol2, p.484.
(135) القديس توما الإكوينى: المصدر السابق، ص ٣٨٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١- الإكـوينى: (القـديس تومـا) : الخلاصـة اللاهوتيـة، القـسم الأول مـسألة ٨، ترجمـة مـن اللاتينيـة إلـى العربيـة الخـورى بـولس عـواد ، المطبعـة الأميريـة، بيـروت، ١٨٨٧م.

٢- الإكـوينى: (القـديس تومـا) : مجموعـة الـردود علـى الخـوارج، فلاسـفة المـسلمين، ترجمـة نعمة الله أبى كرم ، دار ومكتبة بيبلون ، بيبلوس ، لبنان ، د. ت.

ثانيًا: المراجع :

أ- العربية :

١. بـدوى (د عبـد الـرحمن): فلسفة العصـور الوسـطى، وكالـة المطبوعـات، دار القلـم، ط٣ ، بيروت، ١٩٧٩ .

٢. برهييـه (اميل) : تـاريخ الفلسفة الجـزء الثالـث، العصـر الوسيط والنهضة، ترجمـة: جورج طرابيشى، دار الطليعة، ط١ ،بيروت ١٩٨٨م .

٣. بورات (القس بى): تاريخ الروحانية المسيحية ، المجلد الثانى ، العصور الوسطى، ترجمة تكلس نسيم سلامة، مراجعة وتحرير محمد حسن غنيم ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ط١، القاهرة، ٢٠١٥.

٤. تلـش (بـول): تـاريخ الفكـر المـسيحى (مـن جـذوره الهلينـسية واليهوديـة حتـى الوجوديـة)، ج١ ، ترجمـة د٠ وهبـة طلعـت أبـو العـلا، الناشـر ، مركـز جامعـة القـاهرة للغـات والترجمـة، ط١، القاهرة، ٢٠١٢ . .

٥. جلسون (اتيين) : روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ترجمة وتعليق د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولى، ط٣ القاهرة ١٩٩٦م .

٦. جلسون (اتيين) : نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ترجمة وتعليق د حـسن حنفـى، دار التنـوير للطباعـة والنـشر، بيـروت، ١٩٨١م.

٧. جونـو (إدوار): الفلـسفة الوسـيطية: ترجمـة د علـي زيعـور، دار الأنـدلس للطباعـة والنشر، ط٢ ، بيروت ١٩٨٢م.

٨. الخضيرى (د زينـب): أثـر ابـن رشـد علـى فلاسـفة العصـور الوسـطى، دار التنـوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩. راسل (برتراند) : حكمة الغرب ، جـ ٢ ، ترجمة د٠/ فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣م.

١٠. راسل (برتراند) :تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثانى الفلسفة الكاثوليكية، ترجمة د زكى نجيب محمود ، مراجعة د أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

١١. ركيفتش(فوادا سواف تاتا): فلسفة العصور الوسطى، ترجمة د٠ محمد عثمان مكي العكيل: دار كنوز للنشر والتوزيع ، القاهرة، ٢٠١٢ .

١٢. عبد الله (د٠محمد فتحى) : مترجمو وشراح أرسطو عبر العصور، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الثانية ، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م .

١٣. العراقى (د عاطف): مذاهب فلاسفة المشرق، دار المعارف، ط٩ ، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٥٩

١٤. العراقى (د٠ عاطف) : نحو معجم للفلسفة العربية ، "مصطلحات وشخصيات، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الثانية ، القاهرة، ٢٠١١م

١٥. عطيتو(د٠حربى عباس ، ماهر عبد القادر) : اتجاهات التفكير الفلسفىفى العصور الوسطى ، دار أورينتأل، الإسكندرية، ٢٠٠٦

١٦. كرم (يوسف): تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط ، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥ .

١٧. كوبلستون (فردريك): تاريخ الفلسفة المجلد الثانى القسم الثانى من أوغسطين إلى دانز سكوت ترجمة، د. إمام عبد الفتاح إمام وإسحاق عبيد ، مراجعة وتقديم د. إمام عبد الفتاح إمام المركز القومى للترجمة، ط١ ، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٨. لويس (جون) : مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك ، دار الحقيقة للطباعة والنشر، ط٤، بيروت، ١٩٨٣م.

١٩. ليبرا (آلاندى) : فلسفة العصر الوسيط، ترجمة مصطفى ماهر، دار شرقيات للنشر والطبع، ط١ ،القاهرة ١٩٩٩م .

٢٠. ماركوسى(ترانثى): مقالات فى فلسفة العصور الوسطى، ترجمة د. ماهر عبد القادر محمد ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ١٩٨٦م.

٢١. المحرقى (الراهب بنيامين) : دراسات في اللاهوت النظري، الجزء الأول، مراجعة وتقديم د٠ موريس تاوضروس ، شركة الطباعة المصرية، ط٢، القاهرة، ٢٠١٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٢. مطر (د٠أميرة حلمى): الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للنشر والتوزيع، ط١ ، القاهرة ١٩٨٧م.

٢٣. هيل (جوناثان) : تاريخ الفكر المسيحى، ترجمة سليم اسكندر ومايكل رأفت، مراجعة محمد حسن غنيم ، مكتبة دار الحكمة، ط١ ،القاهرة، ٢٠١٢م

ب-الأجنبية

1. Copleston (Frederick): A History of Philosophy, Vol 3, Search Press, Limited, first Published, London, 1976.

2. Evans (G.R): Philosophy and Théology in the Middle Ages, Routledge, first Published, New York, 1993.

3. Gilson(Etienne): History of Chrisitian Philosophy, in the Middle Ages, New York, 1955.

4. Gonzalez (Justol): The Story of Christianity, Voll, "The Early Church to the Dawn of The Reformation", Harper & Row Publishers, copright, first Published, New York, 1984.

5. Knowles (David): The Evolution of Medieval Thought, second edition, New York, 1988.

6. Mercier (Cardinal): A Manual of Modern Scholastic Philosophy, Keganpaul, Trench, Trubner, Co., LTD. Third edition, London, 1926.

7. Sahakian (Williams): History of Philosophy, Revision of hasper, publishers New York, 1968.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8. Stumpf (Samuel Enoch): Philosophy (History and Problems), McGraw-will book company, 3rd Edition, New York, without Date,

9. Taylor (H. O.) : The Medieval Mind vol2, Harvard University press, Forth edition, New York, 1962.

10. Hakim (Albert B). : Historical Introduction to Philosophy, Macmillan Publishing Company, without Date.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم ودوائر المعارف :

أ- العربية :

١. ألف (ونى إيلى) : موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب، الجزء الأول (مادة القديس توما الإكوينى) قدم له الرئيس شارل الحلو، مراجعة د جورج نخل، دار الكتب العلمية، ط١ ،بيروت ١٩٩٢م.

٢. بدوى (د. عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.

٣. البستانى (المعلم بطرس): دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، مادة القديس أوغسطين ، المجلد الرابع ، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ١٨٨٠م.

٤. الحفنى(د عبد المنعم) : موسوعة الفلسفة والفلاسفة، (مادة القديس توما الإكوينى)، مكتبة مدبولى، ط٢ القاهرة، ١٩٩٩م.

٥. الحفنى(د٠ عبد المنعم) : الموسوعة الفلسفية، (مادة بولس الرسول) ، دار ابن زيدون، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، بدون تاريخ.

٦. دائرة المعارف الكتابية: تحرير وليم وهبه بباوى، مادة القديس ديونيسيوس، المجلد الثالث، دار الجيل، ط ١ ، بيروت ١٩٩١م.

٧. طرابيشى(د. جورج): معجم الفلاسفة مادة توما الإكوينى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢ ، بيروت ١٩٩٧م.

٨. معجم أعلام الفكر الإنسانى: الجزء الأول، مادة ألبير الكبير إعداد: نخبة من الأساتذة المصريين تصدير د. إبراهيم مدكور الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩. الموسوعة العربية الميسرة : إشراف د. محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٥م ، مادة جماعة الدومنيكان.

١٠. (د. مراد وهبة، يوسف كرم، يوسف شلاله): المعجم الفلسفى (مادة تواطؤ)، ط٢، دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧١م.

بـ ألأجنبية :

1. Black burn (Simon): The Oxford Dictionary of Philosophy, (Saint Anselm), Second Edition Revised, University Press. Inc, New York, 2008.

2. Lacy (A. R): ADictionary of Philosophy,(Saint Aquinas) Routledge, Keganpaul, first published, London, 1967.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com